مجلة كلية الآداب
"دوريَّةٌ – أكاديميَّةٌ – علميَّةٌ – مُحَكَّمةٌ"
عدد (٣٨) مارس ٢٠١٥م ص ص: ١٨٩ - ٢٢٠
جامعة سوهاج
كلية الآداب

نهاية منظمة الداوية TEMPLARS في أوربا ٧١٣هـ / ١٣١٣م

د.لطيفة خلف العنزي (*)

عندما وصف المؤرخ ابن واصل شجاعة المماليك قال عنهم أنهم "داوية الإسلام"(١). وهذا يعني أن الداوية اشتهروا بالشجاعة والإقدام. فمن هم الداوية؟ وكيف هي بدايتهم؟ وما هي نهايتهم؟

كثرت الأبحاث والرسائل العلمية التي تناولت منظمة الداوية منذ تأسيسها حتى طردهم نهائيا من بلاد الشام بعد استرداد المسلمين عكا عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م. لكن مراحلهم الأخيرة، وما صادفوه في أوربا، فلم ينل حظه من الدراسة، لذلك اهتمت هذه الدراسة بمحاولة تتبع تاريخهم وما آلت إليه هذه المنظمة استكمالا لتاريخهم منذ بدايته وحتى نهايته، لأنهم لعبوا دورا كبيرا وخطيرا في الحركة الصليبية.

رغم تناول الكثير من الأبحاث لبداية تأسيس منظمة الداوية ودورهم العسكري في الحروب الصليبية حتى نهاية الوجود الصليبي في بلاد الشام عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م(٢)، إلا أننا سنتناول نشأة تلك المنظمة ودورها بصورة مختصرة وذلك من أجل ربط الأحداث ببعضها حتى تتضح الصورة كاملة.

تأسست منظمة فرسان المعبد **Templars** المعروفين في المصادر العربية باسم الداوية(٣)، سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م. ويشير كثير من المؤرخين الغربيين إلى أسباب نشأتهم، أن الحجاج المسيحيين اللاتين في بداية القرن الثاني عشر الميلادي بداية القرن السادس الهجري، أصبحوا في حاجة إلى توفير الحماية والأمن لهم، وذلك عبر الطرق والدروب التي يسلكونها لزيارة الأماكن المقدسة في بلاد الشام وعندما عجز الصليبيون الأوائل عن تأمين تلك الطرق لهم وحمايتهم من المسلمين، اتفق تسعة من الفرسان المتحمسين ممن كانوا في بلاد الشام في تلك الفترة على أن يحيوا حياة الزهد والفقر، وأن يكرسوا أنفسهم للعمل على توفير الحماية لأولئك الحجاج(٤).

وكان على رأس هؤلاء الفرسان: هيو دي باينز **Hugh de Payens** وجودفري دي سانت أومر **Godfery de St. Omer**(٥)، وعرض هؤلاء الفرسان هذه الفكرة على جورمون **Gaurimond** بطريرك

(*) دكتوراه تاريخ العصور الوسطى جامعة الملك سعود- الرياض – المملكة العربية السعودية.

(١) ابن واصل، جمال الدين محمد ،ت ٦٩١هـ : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، جـ ٢،تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ، ١٩٥٣م ، ص ٣٧٠.

(٢) أنظر: إبراهيم خميس، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (جماعة الفرسان الداوية)، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤م؛ نبيلة مقامي، فرق الفرسان الرهبان، القاهرة، ١٩٧٥م؛ Addison, (C. H. G.), The Knights Templars, London, 1842.

(٣) جاء لفظ الداوية في كتاب كنز الدرر لابن أيبك، جـ ٨، ص١١٧؛ ونهاية الأرب للنويري، جـ ٢٩، ص ٢٧؛ والنجوم الزاهرة لأبي المحاسن، جـ ٦، ص ٣٣؛ والكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ ٩، ص ٢١٤؛ وكتاب الروضتين لأبي شامه، جـ ١، ص ٤٩٠؛ والسلوك للمقريزي، جـ ١، ص ٤٨٥.

(٤) Oman, (C.W. A.), History of the Art of War in the Middle Ages, London, 1924, P. 255; Grousset, Histoire des Croisades Et du Royaume Franc de Jerusalem, Paris, 1936, I, P.181.

(٥) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، جـ ٢، ص ٣٤٥.

بيت المقدس اللاتيني (٥١٦ – ٥٢٢هـ / ١١١٨ – ١١٢٨م) وقتها، فوجدوا منه ترحيبا كبيرا لما تنطوي عليه من خدمة دينية[١].

وعرض البطريرك جورمون طلب هؤلاء الفرسان بالسماح لهم بحماية الحجاج المسيحيين على الملك الصليبي بلدوين الثاني Baldwin II[٢] (٥١٢ – ٥٢٥هـ /١١١٨ – ١١٣١م) فوافق عليه[٣].

وقد أقسم الفرسان أمام الملك بلدوين الثاني والبطريرك بالمحافظة على شعائر الرهبنة الثلاثة الفقر، والطاعة، والعفة، بالإضافة إلى ذلك أقسموا يمينا بحمل السلاح وإشهاره ضد المسلمين[٤]. إذا فنظامهم قام أساسا على الحماس الديني وعلى الفروسية العسكرية وإن كان أقرب إلى القتال والحرب منه إلى الجانب الديني. وقد تلقبوا "بجنود المسيح الفقراء". ومنحهم الملك بلدوين الثاني مكانا يقيمون فيه، في ساحة المسجد الأقصى فيما يزعمون أن تحته معبد سليمان Templum Solomonis فسموا بذلك " فرسان المعبد"[٥].

ذاع فرسان الداوية في الغرب الأوربي في تلك الفترة عن طريق الحجاج المسيحيين الذين عادوا إلى أوطانهم، وتحدثوا عن الأعمال الكثيرة التي يقوم بها فرسان الداوية. لذا تطلع الأمراء والنبلاء في الغرب الأوربي إلى الانضمام لجماعتهم بالإضافة إلى إرسال الصدقات والهبات لفرسان الدواية. ومنحهم الملك بلدوين الثاني إدراكا منه لأهميتهم أراضي يتزودوا منها بالمأكل والملبس. وبهذا أصبح لهم دخل ثابت يتزودون منه[٦].

ونتيجة لهذا التطور للمنظمة أراد قائدها هيو دي باينز أن يضفي عليها الصفة الشرعية عن طريق مباركة البابا هونوريوس الثاني Honorius II (١١٢٤ – ١١٣٠م)[٧] لها ،والاعتراف بها. واتجه هيو إلى القديس برنارد St. Bernard رئيس دير كليرفو Clairvaux بفرنسا[٨]. الذي رحب بهم واعجب

---

(١) Roger of Wendover, The Flowers of History, London, 1888,Vol. I, P. 469; Michel le Syrin, Chronique de Michel le Syrin, Paris, 1905, III, P. 201. ؛ حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، ط ١، القاهرة، ١٩٤٧م، ص ٩٨.

(٢) عندما توفي بلدوين الأول دون وريث يرث عرش المملكة عام ٥١٢ه / ١١١٨م ،اجتمع أمراء المملكة ومعهم بطريك بيت المقدس لبحث مشكلة ملء العرش، واستقر رأيهم على بلدوين الثاني دي بورج أمير الرها بصفته ابن عم الملك بلدوين الأول وتم تتويجه في كنيسة القيامة. عن ذلك أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٩٦م، جـ ١، ص ٣٩١–٣٩٢.

(٣) Amadi, Chroniques d' Amadi et de Strambaldi, I, Paris, 1891, P. 29.

(٤) وليم الصوري، الحروب الصليبية، جـ ٢، ص ٣٤٥؛ Amadi, Op. Cit. I, P. 29

(٥) Jacaues de Vitry,The History of Jerusalem, Cf. P. P. T. S., Vol. XIV, London, 1896, P. 51; Edward, (J. M.), The Trail of The Templars, London, 1928, P. 43.

(٦) Jacaues de Vitry, Op. Ct. P. 50. ؛ وليم الصوري، الحروب الصليبية، جـ ٢، ص ٣٤٥.

(٧) يدعى لامبرت سكانابتشي Lamberto Scannabecchi تولى منصب البابوية بعد البابا كلستين الثاني عام ١١٢٤م إلى أن توفي عام ١١٣٠م. عن البابا هونوريوس الثاني أنظر: Kelly, (J. N. D.), Oxford Dictionary of Popes, Oxford, 1996, PP. 165 – 166.

(٨) القديس برنارد: ولد عام ١٠٩١م، وهو من أكبر ممثلي الفكر الديني الوسيط. يعتبر شخصية صليبية بارزة وزعيما للرهبان السسترشيان، ومن المتحمسين للنظام البندكتي بعد الإصلاحات التي أدخلت عليه. وأسس ديره في كليرفو وأصبح رئيسا له. وكان يتمتع بنفوذ كبير ونشاط فائق فهو الذي ساعد في الدعوة إلى الحملة الصليبية الثانية إلى الشام، ونجح في أن يلهب حماس مستمعيه في خطابه الشهير الذي ألقاه للدعوة للحملة، ونجح بأسلوبه الجذاب في إقناع عددا كبيرا من النبلاء والأمراء للقيام بهذه الحملة. كما تبنى هيئة الداوية منذ البداية مما جعل لها شعبية =

بفكرتهم وصحبهم إلى روما ،حيث التقوا بالبابا وعرض عليه القديس برنارد فكرة المنظمة ،فوافق عليها، وأمر بعقد مجمع كنسي في مدينة تروى **Troy** بمقاطعة شامبانيا بفرنسا، حضره الكثير من الأساقفة ورجال الدين في الغرب الأوربي وذلك عام ٥٢٢هـ /١١٢٨م ــ [١]. ووافق البابا والحاضرون على المبادئ الخاصة بجماعة فرسان الداوية وأقر لهم المجمع ،أيضا ،نظاما كان بمثابة قانون سارت عليه هيئة الداوية. وأهم هذه القوانين البند الذي ينص على تبعية جماعة فرسان الداوية للبابا فقط. مما سيجعل المنظمة غير ملزمة بأداء أي نوع من الالتزامات الإقطاعية[٢] للملك الصليبي في بيت المقدس ،أو أي حاكم صليبي في بلاد الشام، أو حتى الغرب الأوربي في الوقت الذي سادت فيه النظم الإقطاعية هذا العصر، وقد أعطى هذا البند بالطبع للجماعة سندا قويا للتنصل من القيام بأي خدمات إلا وفقا لما تقتضيه مصالحهم الخاصة[٣].

أعلن برنارد في خطابه الذي ألقاه على الفرسان في مجمع تروى الديني ٥٢٢هـ / ١١٢٨م بأن المنظمة حملة صليبية دائمة لا تقهر، وأن هذه الجماعة في رأيه قوة مسلحة نظامية مقدسة ثابتة يلجؤون إليها عند الحاجة، وهي التي سوف تنزع ضريح المسيح وتحافظ عليه. وتصبح الحارس الخاص لملوك القدس المسيحيين، وستمثل الجيش الرابض على الخطوط الأمامية للعالم المسيحي[٤].

وبهذه الكلمات المثيرة للحماسة انضم إلى المنظمة عدد كبير من النبلاء الذين جذبتهم أهدافها، وتدفقت عليهم الهبات والمنح، ولم يلبث هؤلاء الفرسان أن أصبحوا طبقة ثرية بعد أن كانوا فقراء معدمين سواء في الشام أو في أوربا[٥].

وبعد أن نجح هيو دي باينز في الحصول على اعتراف البابا في روما بهم كمنظمة. أخذ يجول في الغرب لدعوة الفرسان للانضمام إلى منظمته، وشملت جولته انجلترا حيث جمع الهبات وحشد الفرسان ولذا فكر أن يترك أحد فرسان الداوية ،الذين جاءوا معه في انجلترا لتدريب الفرسان الإنجليز الذين رغبوا في الانضمام للمنظمة وأطلق عليه لقب نائب المقدم الأعظم **Prior** في انجلترا[٦]. وبذا يكون هيو قد وضع

=كبيرة في أوربا وجعل العائلات النبيلة تسارع لإلحاق أبنائها بها ونيل شرف الخدمة في هذه المنظمة. عنه أنظر: كولتون ج. ج.: عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة جوزيف نسيم يوسف، ط ٢، الإسكندرية، ١٩٦٧م، ص ٢٢ ، حاشية (١) Michaud,(J. F.), Histoire des Croisades, Paris, 1922, II, P. 116.

(١) Woodhouse, The Military Religious Orders of the Middle Ages, London, 1879, P. 208.

(٢) يعتبر هذا النظام تعاقدا بين السيد الإقطاعي وأفصاله Vassals على أساس من الحقوق والواجبات المتبادلة، ومن حقوق السيد الإقطاعي على أفصاله أداء اليمين بالإخلاص والتبعية والطاعة، والخدمة العسكرية في جيش السيد الإقطاعي، وإذا مات الفصل دون وريث، يرثه الإقطاعي، كذلك على الأفصال دفع الضرائب المفروضة عليهم للسيد الإقطاعي، وكان حق الأفصال على السيد الإقطاعي حمايتهم ورعايتهم وتحقيق العدالة لهم. للمزيد انظر: Block,(M.), Feudal Society, Translated from the French by L.A. Mnyon, London, 1982, Vol. I, PP. 443 – 450.؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى، جـــ ٢، القاهرة، الأنجلو، ١٩٨١م، ص ٢٥٩ – ٢٦٠؛ كوبلاند وفينوجرادوف، الإقطاع والعصور الوسطى بغرب أوربا، ترجمة محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٥٨م.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن المبادئ الخاصة بمنظمة الداوية ،انظر: Michel le Syrien, Chronique de Michel le Syrien, Vol. III, P. P. 201 – 203; Addison, The Knights Templars, P P. 62 – 68.

(٤) عن خطب برنارد، انظر: Addison, The Khnights Templars, P. P. 30 – 32; Milman, (H. H.), History of the Latin Christianity, London, 1872, Vol. VII, PP. 183-184.

(٥) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, PP. 182-183.

(٦) Addison, The Knights Templars, P. 27.

أساس مركز جديد لجماعة فرسان الداوية في انجلترا لأنه بتأسيس هذا المركز ضمن هيو وصول الأموال والعتاد والفرسان للجماعة في مركزها الرئيسي في بلاد الشام. واستمر هيو بجولته وأسس على غرار مركزه في إنجلترا في كلا من فرنسا وإسبانيا وهكذا حتى شمل معظم بلدان غرب أوربا(١).

وقد وافق البابا ايوجين الثالث Eugine III (١١٤٥ – ١١٥٣م)(٢) على نظام الدواية وقانونهم واعترف بها عام ١١٤٦م، كمنظمة خاصة لها نظمها و أهدافها في خدمة المسيحية(٣). وقام البابا إنوسنت الثالث Innocent III (١١٩٨ – ١٢١٦م)(٤) بإعفاء رجال الدين في جماعة فرسان كهنة المعبد من قسمهم بالإخلاص والطاعة لأسقفهم، ومن ذلك الوقت فصاعدا دانوا بالولاء للبابا وحده(٥). وقد توج البابا جريجوري العاشر Gregory X (١٢٧١ – ١٢٧٦م)(٦) امتيازاتهم بإعفائهم من كل الإسهامات في الحرب المقدسة، ومن الأعشار التي يدفعها باقي العالم المسيحي من أجل ذلك الهدف(٧).

وببداية القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري ،تراكمت لدى منظمة الداوية الهبات والعطايا والامتيازات، حتى أصبح لها في الغرب الأوربي عدة مراكز في بروفانس، وفرنسا، وبواتييه، وانجلترا، وأرغونه، وقطلونيا، وقشتاله، والبرتغال، وتوسكانيا، ولمبارديا، وصقلية، والمجر، والمانيا، وأسبانيا(٨).

وكانت هذه المراكز العديدة تمد المنظمة في بلاد الشام بعدد كبير من الفرسان الذين كونوا جيشا دائما يختلف عن سائر جيوش الصليبيين في بلاد الشام، ذلك لأن هؤلاء الفرسان كانوا يهبون حياتهم كاملة

---

(١) Addison, The Knights Templars, P. 36.

(٢) البابا ايوجين الثالث: تولى البابوية من فبراير عام ١١٤٥م وحتى يوليو ١١٥٣م اسمه الحقيقي برناردو بيكناتيلي Bernardo Pignateli وكان مقدما على الرهبان السسترشيان خارج روما. كما كان مسؤولا عن دير القديس زينو S. Zeno في بيزا عام ١١٢٨م، ثم أصبح مسؤولا عن الدائرة الأسقفية في أواخر عام ١١٣٠م. وقابل برنارد الكليرفوي فوقع تحت سحر بلاغته والتحق به ليصبح راهبا في دير كليرفو. وبعد انتخابه لمنصب البابوية شجع على الحملة الصليبية الثانية. وسافر إلى فرنسا عام ١١٤٧م لمباركة جهود لويس السابع من أجل القيام بالحملة الصليبية الثانية، أنظر: Kelly, (J. N. D.), Oxford Dictionary of Popes, Oxford, 1996, PP. 172 – 173.

(٣) عن نظم الداوية أنظر: Letter From Pope Alexander IIIto the Master of the Templars Bertrand of Blanquefort, dated 7 June 1152, Cf.; Addison, Templars, PP. 62-68; Michel le Syrien, Chronique, III, PP. 201-203; Cruzon , H. D., La Regle du Temple, Paris, 1904. وعن العقوبات أنظر: Jacques de Vitry, Jerusalem, PP. 52-53; Anonymus Pilgrims, P. 30.

(٤) إنوسنت الثالث: تولى منصب البابوية من ٨ يناير ١١٩٨م إلى ١٦ يوليو ١٢١٦م، واسمه لوتاريو Lotario، ولد عام ١١٦٠– ١١٦١م، وفيما بعد درس اللاهوت في باريس، والقانون الكنسي في بولونيا، صار كاردينالا في عام ١١٩٠م، وهو أهم شخصية في الحركة الصليبية في أوربا = بعد البابا أوربان الثاني، ويتميز عهده بأنه قمة البابوية في العصر الوسيط، وكان يرى أن البابا أقل منزلة من الرب وأرفع من الإنسان، واعتبر نفسه "نائب المسيح في الأرض" وأن الحكام الزمنيين مجرد عمال البابا يدينون له بالطاعة لذا انخرط بشكل عملي في كل الأمور السياسية والإقطاعية في كل أوربا. وضع العديد من التنظيمات الإدارية وألف العديد من الكتب والمقالات. عنه أنظر: Kelly, Oxford Dictionary of Popes, PP. 186-188.

(٥) Letter of Pope Innocent III, In, R. O. L., Vol. XI, PP. 419-420.

(٦) ولد عام ١٢٠٠م وتوفي عام ١٢٧٦م تولى منصب البابوية من عام ١٢٧١م إلى ١٢٧٦م خلفا للبابا كليمنت الرابع ، بعد أن ظل الكرسي البابوي شاغرا لمدة ثلاث سنوات وهي أطول فترة زمنية في تاريخ الكنيسة ، وشارك في إحدى الحملات الصليبية على عكا وعندما عاد طالب بإرسال معونات للصليبيين لإحكام سيطرتهم على عكا في مواجهة المسلمين. عن البابا جريجوري العاشر أنظر: Kelly, Oxford Dictionary of Popes, PP. 197-198.

(٧) Addison, The Knights Templars, P. 36.

(٨) Chaen, (C.), Le Syrie du Nord A L'Epoque des Croisades, Paris, 1940, P. 510.

لمحاربة المسلمين وبذلك شكلوا خطرا دائما على حكام المسلمين وقوادهم. وأسهموا إسهاما كبيرا في الحروب الصليبية في الشام ومصر[١].

والواقع، أنه عندما حازت هيئتا الرهبان الفرسان سواء الداوية أو الاسبتارية[٢] تلك الممتلكات الكبيرة والواسعة في بلاد الشام، بدأت تلعب دورا جديدا في الشرق الأوسط لم يكن مقدرا لها في بداية نشأتها، فقد جاء ثرائها على حساب الملوك والبارونات بالإضافة، إلى أنها لم تكن خاضعة لملك بيت المقدس أو الكنيسة الكاثوليكية في الشرق، بل كانت خاضعة للبابوية في روما مباشرة، وبهذه المميزات استطاعت هذه الهيئات أن تضع لها سياسة خاصة تختلف عن سياسة الإمارات الصليبية في الشام[٣].

يصف المؤرخ وليم الصوري حال منظمة الداوية بعد الامتيازات والثروات التي حصلت عليها بقوله: "لقد ظل فرسان الهيكل زمنا طويلا وهم أوفياء لهدفهم النبيل، مؤدين واجبهم على أكمل وجه، ثم بدا لهم أخيرا أن يهملوا التواضع الذي هو حارس جميع الفضائل، فنزلوا به إلى الدرك الأسفل إذ خرجوا على بطرك بيت المقدس الذي تسلموا منه امتيازاتهم الأولى ورفضوا أن يطيعوه الطاعة التي كان يبديها أسلافهم له، كما أصبحوا مصدر متاعب شديدة لكنائس الرب لأنهم رفضوا أن يسلموها الأعشار التي هي أولى ثمرات فاكهتهم، وعاثوا فسادا في أملاكهم"[٤].

ومن خلال نص وليم الصوري وضح للباحثة حال الداوية فهي كانت محل استهجان وكره من قبل المحيطين بها. ونص وليم هذا كان في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي السادس الهجري معنى ذلك أن الداوية منذ بداياتها كانت محل عداء من قبل الجميع بسبب تصرفاتها، فلا عجب إذا رأى الغرب فيما بعد حل هذه المنظمة والقضاء عليها.

استمرت منظمة فرسان الداوية تؤدي دورها الذي تأسست من أجله وهو محاربة المسلمين، إلا أنها انشغلت في أواخر فترة وجودها في بلاد الشام بنزاعها المستمر مع منظمة الاسبتارية حول ملكية بعض الأراضي والقلاع، وتسبب هذا التنافس الكبير فيما بينهما إلى انحسار دورهما في بلاد الشام، إلى أن استرد

---

(١) Chaen, (C.), LE Syrie du Nord A L'Epoque des Croisades, PP. 510 – 511.

(٢) الإسبتارية : منظمة جمعت بين الفكرتين الدينية والعسكرية، وترجع تسميتهم بهذا الاسم إلى دير أقامه تجار أمالفي Amalfi الإيطالية في القدس في النصف الثاني من القرن ٥هـ / ١١م وأنشأوا بجواره مستشفى، ومن ذلك عرفت هذه المنظمة بالإسبتارية Hospitallers أي فرسان المستشفى، وكان هدفهم في البداية إيواء الحجاج النصارى ومعالجة المرضى منهم، ولم تلبث هذه الهيئة أن أصبحت تؤلف قوة حربية كبرى لها شأنها بالنسبة للصليبيين، واشتركوا معهم في حملات ضد المسلمين. وقد اعترف البابا باسكال الثاني بهذه الهيئة في ٥٠٧هـ/ ١٣ فبراير عام ١١١٣م ، وكانت تشكل مع الداوية قوة خطيرة على المسلمين في بلاد الشام، وعندما طرد الصليبيون من بلاد الشام، اتجه الإسبتارية إلى رودس، وصار اسمهم فرسان رودس، وبعد أن طردهم العثمانيون من رودس، اتجهوا إلى مالطة عام ١٥٣٠م فعرفوا باسم فرسان مالطة. عن هذه المنظمة وخطرها أنظر: جوناثان رايلي سميث، الإسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠-١٣١٠م، ت. صبحي الجابي، دمشق، ١٩٨٤م؛ مصطفى محمد الحناوي، الفرسان الإسبتارية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي، الرياض، مكتبة الرشد، ٢٠٠٦م .

(٣) Prower, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, London,1973, P. 496.

(٤) وليم الصوري، الحروب الصليبية، جـــ ٢، ص ٣٤٧.

المسلمون عكا عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م وتم طرد الصليبيين نهائيا من بلاد الشام بما فيهم منظمتا الداوية والاسبتارية، وانتقالهما إلى قبرص(١).

و قبرص، التي أصبحت الجبهة الرئيسية في الحروب الصليبية، منذ استعادة المسلمون لمدينة عكا عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م إلى أن فتحها المسلمون عام ٨٢٩هـ / ١٤٢٦م(٢)، غدت ملجأ للاجئين والمشردين الصليبيين من بلاد الشام، كما آوت منظمات الفرسان المشردة، أيضا، من بلاد الشام مثل الداوية والاسبتارية. وبذلك أصبحت قبرص في عهد ملوكها آل لوزجنان(٣) مصدر تهديد للموانئ الإسلامية في بلاد الشام ومصر(٤). وقد شاركت منظمة فرسان الداوية في هذا التهديد، ففي عام ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م قام الداوية بتسليح ستة مراكب من البندقية لحماية قبرص من الغارات الإسلامية وكذلك حماية للحجاج المسيحيين المتجهين من أوربا إلى بلاد الشام من غارات المسلمين والقراصنة(٥).

وفي عام ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م ذكر المؤرخ Hill أن ملك قبرص هنري الثاني لوزجنان Henery II de Lusignan (١٢٨٥-١٣٢٤م) قام بالتعاون مع الداوية والإسبتارية بتجهيز ستة عشر سفينة عسكرية للإغارة على موانئ الشام(٦)، وبالنظر إلى المصادر العربية نراهاذكرت أنه في عام ٦٩٨هـ وهو الموافق للعام الذي ذكره Hill في تاريخه ،أنه وصلت إلى ساحل بيروت ثلاثين سفينة للفرنج "فيها جماعة كثيرة من المقاتلة"(٧)، "قصدوا أن يطلعوا من مراكبهم إلى البر، وتحصل إغارتهم على الساحل. فاجتمع الناس

---

(١) Delaville Le Roulx, (J.), Les Hospitaliers En Terre Sainte Et Achypre 1100 – 1310, Paris, 1904, P. 58. وعن النقد الموجه إلى هاتين المنظمتين وإلقاء اللوم عليهما في ضياع الأرض المقدسة أنظر بالتفصيل: Helen Nicholson, Templars Hospitallers, and Teutonic Knights: Images of the Military Orders, 1128 – 1291 London, 1993.

(٢) عن قبرص ودورها في الحروب الصليبية أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرس والحروب الصليبية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م.

(٣) في عهد الملك بلدوين الرابع (١١٧٤ – ١١٨٥ م) ملك مملكة بيت المقدس قدم جاي لوزجنان من فرنسا وتزوج من سبيلا الأخت الكبرى للملك بلدوين. وبعد وفاة بلدوين توجت سبيلا ملكة مملكة بيت المقدس وبالتالي أصبح زوجها الملك إلا أنها توفيت أثناء حصار صلاح الدين لعكا، وأصبحت أختها إيزابيل وريثة العرش وتوجت ملكة للمملكة بيت المقدس والتي نصبت زوجها كونوراد دي مونتفرات ملكا للمملكة سنة ١١٩٠م، إلا أن هذا لم يرض جاي لوزجنان الذي استعان بالملك ريتشارد قلب الأسد الذي قدم على رأس الحملة الصليبية الثالثة، وهو في طريقه استولى على جزيرة قبرص من حاكمها البيزنطي إسحق كومنين، وباعها ريتشارد إلى منظمة الداوية الذين لم يستطيعوا تكلف أعباء إدارتها فطلبوا من الملك ريتشارد إعادتها إليه ووافق ريتشارد وقدمها إلى جاي لوزجنان مقابل تنازله عن عرش مملكة بيت المقدس وإرجاع مبلغ ستين ألف بيزانت للداوية، فوافق جاي لوزجنان على الصفقة وتسلم قبرص سنة ١١٩٢م، واستمر حكم أسرة لوزجنان في قبرص لمدة ثلاثة قرون (١١٩٢ – ١٤٧٢م) أثرت في اتجاهات الحروب الصليبية تأثيرا قويا، ويعتبر عصر أسرة لوزجنان أزهى عصور التاريخ القبرسي. انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرس والحروب الصليبية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م.

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرس والحروب الصليبية، ص ٣٦ – ٧١.

(٥) Hill, (S. G.), A History of Cyprus, Vol. III, Cambridge, 1948, PP. 202 – 203.

(٦) Hill, (S. G.), A History of Cyprus, PP. 212 – 213. ؛ ومن الجدير ذكره: أن ملك قبرص هنري الثاني لوزجنان قد قدم مشروع صليبي للبابا كليمنت الخامس للاستيلاء على الأراضي المقدسة عن ذلك المشروع وخطره، أنظر: لطيفة خلف العنزي، مشاريع الدعاة الصليبيين ضد العالم الإسلامي في حوض البحر المتوسط من نهاية القرن الثالث عشر حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلاديين (١٢٩١- ١٤٩٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القصيم كلية الآداب، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص ٢٨٧ – ٢٩٢.

(٧) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣ه: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ ٣١ ، تحقيق الباز العريني، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ٣٧٦.

لقتالهم"[١]. إلا أن السفن الصليبية تعرضت لريح شديدة كسرت بعض مراكبهم وألقتها على الشاطئ، فأخذ المسلمون تلك السفن "وأسروا ثمانين إفرنجيا"[٢]، "ورجع من سلم منهم على أسوأ حال"[٣].

أثناء إحدى غارات القبارصة ومعهم الداوية على السواحل الإسلامية في بلاد الشام نزلوا على جزيرة أرواد[٤] وهي جزيرة قبالة ساحل طرطوس في طريقهم إلى قبرص، استحسن مقدم الداوية هذه الجزيرة ورأى أنها ستكون أرضا مهمة بالنسبة له يقيم بها هو وطائفته ،بحيث يمكن من خلالها إزعاج المسلمين، لذا قام عام ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م ببناء قلعة للداوية وترك بها حامية عسكرية لهم، وجعل عليهم المارشال بارتلوميوBartlwmyw أحد أعضاء المنظمة[٥]. إلا أن المسلمين لم يمكنوهم من المكوث بها طويلا إذ جهز السلطان الناصر محمد بن قلاوون[٦] عدة سفن وشحنها بالمقاتلة والآت الحرب، بعد أن وصلته رسالة من نائبه على طرابلس يخبره "بأن الإفرنج قد أنشأوا جزيرة مقابل طرابلس، واتخذوها لهم حصنا ونقلوا إليها عددا ورجالا، وتزايد أمرهم إلى أن صاروا يركبون البحر ويتجرمون فيه ويأخذون المراكب، وأضر ذلك بحال أهل الساحل، وأنه قصد على تجريد عسكر في مراكب تأتي إليهم مع جند طرابلس، ولعل الله أن يظفر المسلمون بها، وأخذ من فيها من الإفرنج قبل أن يشتد أمرها ويقوى حال العدو فيها، وهم يريدون أن يعمروا فيها قلعة، فإذا بنوها يصعب على المسلمين أمرها"[٧].

هجم المسلمون على جزيرة أرواد وقاتلوهم "وكانت هناك معركة حادة جدا"[٨] و"ضغط المسلمون بشدة، وانتشروا عبر الجزيرة كلها"[٩] وتحصن من نجى من القتل من الداوية بالقلعة، "فثبتوا ساعة مقاتلين، ثم

---

[١] المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر ت ٨٤٥هـ: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، جـ ٢، ص ٣١٢.

[٢] النويري، نهاية الأرب، جـ ٣١، ص ٣٧٦ – ٣٧٧؛ المقريزي، السلوك، جـ ٢، ص ٣١٢.

[٣] النويري، نهاية الأرب، جـ ٣١، ص ٣٧٦.

[٤] جزيرة أرواد: جزيرة سورية مساحتها ٠,٢ كم، وتقع على بعد ٥ كم من شاطئ طرطوس. أنظر : بكري الأسود ، " جزيرة أرواد ، صخورها البحرية ومراسيها "ترجمة، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، ع١٤، (١٩٦٤م) .

[٥] Hill, (S. G.), A History of Cyprus, P P. 214 – 216; Crawford , Paul F. An Institution In Crisis : The Military Orders, 1291-1310, U S A , 1998, PP. 69-71. يرى رنسيمان أن الأسبتارية أكثر تعقلا وحكمة من الداوية حيث " أخذوا يبحثون عن وطن آخر " في عام ١٣٠٦م، بينما كان الداوية " يقلون عن الإسبتارية في المغامرة والحظ " هذا بإجماع معظم مؤرخي الحروب الصليبية. ولكن على الأرجح ومن خلال أحداث عام ١٣٠٠م بمحاولة الداوية احتلال جزيرة أرواد أن الداويين هم من أدرك أولا حاجتهم لقاعدة عمليات تكون تحت سيطرتهم وحدهم. أنظر: رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، جـ ٣، ص ٧٢٩ – ٧٣١.

[٦] محمد بن قلاوون: والده هو السلطان سيف الدين قلاوون أحد المماليك البحرية، اشتراه الأمير علاء الدين آقسنقر أحد مماليك العادل الأيوبي بألف دينار وهو مبلغ ضخم لذا عرف بالألفي، تولى محمد بن قلاوون السلطنة ثلاث مرات إلى أن استطاع بتأييد المصريين البقاء بالسلطنة حيث حظيت عائلته منذ عهد ابيه الذي استطاع أن يكسب محبة الجميع ويثبت قدرته حيث يعتبر عهده عهد الاستقرار والازدهار. استمر حكم السلطان محمد إحدى وثلاثين سنة ،وهي من أعظم عصور التاريخ المملوكي، توفي عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م. عنه أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك، بيروت، دار النهضة العربية، د.ت.، ص ٢٠٧ – ٢٣٧.

[٧] العيني، بدر الدين محمود ت ٨٥٥هـ: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، جـ ٤، ص ١٨٤.

[٨] الفارس الداوي الصوري، جيرارد أوف مونتريل: أعمال القبارصة، ترجمة سهيل زكار، دمشق، دار التكوين، ٢٠٠٨م، ص ٢١٥.

[٩] الفارس الداوي، أعمال القبارصة، ص ٢١٥.

وقع كلهم ما بين قتلى وجرحى، وصاحوا طالبين الأمان، وسلموا أنفسهم، وملك المسلمون القلعة أيضا"[١]، وأسر المسلمون من فيها من رجال طائفة الداوية وسيقوا إلى مصر" وكان الأسرى منها مائتين وثمانين نفرا"[٢]. وبذلك ضاع على الدواية موضع القدم الأخير في بلاد الشام.

لم يكن نشاط منظمة الداوية قاصرا فقط على مشاركة قبرص في الهجوم على السواحل الإسلامية بعد طردهم من عكا، وإنما شاركوا ملك صقلية في حملته على اليونان. وشاركوا مع القاتلونيين[٣] Catalonie وعدد من الفرسان الإيطاليين الذين كونوا فرقا مقاتلة استولت على تيسالونيك[٤] Thessalonique، وأصبحت الداوية سيدة على أثينا. لكنهم استهانوا بالمدن التي سقطت في أيديهم، وتركوا بعض الأقاليم لزملائهم في السلاح الذين عملوا على نهب ثروات الشعوب المهزومة. وعاد فرسان الداوية بغنائمهم ليستقروا في الغرب، وبصفة خاصة في فرنسا ،حيث عاشوا في رغد من العيش والرفاهية والفراغ وأصبحوا محل استهجان الأوربيين و منبوذين وممقوتين من الشعوب والأمراء[٥].

امتلك الداوية في قبرص ممتلكات واسعة، وكانت هذه الممتلكات سببا في تدهور العلاقة بين الداوية والملك هنري الثاني (١٢٨٥ – ١٣٢٤م) ،حيث طلب منهم الملك دفع ضرائب على ممتلكاتهم في قبرص إلا أنهم رفضوا دفع هذه الضرائب بحجة تبعيتهم المباشرة للبابا بناء على المرسوم البابوي عام ٥٧٤هـ / ١١٧٩م ،الذي يحظر على العلمانيين فرض ضرائب على رجال الدين، ولكن ملك قبرص أصر على دفع الداوية لتلك الضرائب خاصة أنهم ليسوا من رعاياه[٦]. ولكن البابا بونيفاس الثامن Boniface VIII (١٢٩٧ – ١٣٠٣م)، ناصر منظمة الداوية ومنحهم نفس الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها في بلاد الشام[٧]. وفي عام ٦٩٨هـ /١٢٩٨م ــ قام البابا بونيفاس الثامن بإرسال رسالة إلى ملك قبرص يستعطفه على الداوية ويذكره بمحنتهم ومعاناتهم الكبيرة في الأراضي المقدسة مع المسلمين وموقفهم في عكا، وخدمتهم لمملكة بيت المقدس، وحثه على معاملتهم بالتفضيل على غيرهم[٨].

---

(١) العيني، عقد الجمان، جـ ٤، ص ١٨٨.

(٢) أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ت ٨٧٤هـ: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، جـ ٨، ص ١٢٤.

(٣) القتلان: سكان إقليم كتالونيا Catalonia في الشمال الشرقي من أسبانيا. ويضم هذا الأقليم أربع مناطق هي: برشلونة، جيرونا، ليريدا، تراجونا. ويسمى سكانها بالقطلان. أنظر: عفاف سيد صبرة، العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة من ١١٠٠ – ١٤٠٠م، القاهرة ، دار النهضة العربية، ١٩٨٣م، حاشية ٨٦، ص ٢٠٤.

(٤) مدينة تقع على بحر إيجة. أنظر: The Oxford Dictionary of Byzantium, Vol. 3, Oxford, 1991, P. 2071.

(٥) Michaud, M., Histoire Des Croisades, Paris, 1824 – 1839, IV, PP. 500 – 501.

(٦) Hill, (S. G.), A History of Cyprus, PP. 198 – 199; Crawford , Paul F. An Institution In Crisis : The Military Orders, 1291-1310,P. 51.

(٧) Hill, (S. G.), A History of Cyprus, P. 202; Crawford , Paul F. An Institution In Crisis : The Military Orders, 1291-1310, P. 52.

(٨) Hill, (S. G.), A History of Cyprus, P. 203; Crawford , Paul F. An Institution In Crisis : The Military Orders, 1291-1310, P. 52.

وأمام إصرار ملك قبرص على دفع الداوية للضرائب أرسل البابا بونيفاس الثامن عام ٧٠٠هـــ/١٣٠٠م ــ رسالة إليه يوبخه على عدم مراعاته للقوانين والمراسيم الصادرة بهذا الشأن[١]و لم يعر ملك قبرص هذه التحذيرات أي اهتمام. ولم يستطع البابا بونيفاس الثامن متابعة ذلك ؛لانشغاله في ذلك الوقت بنزاعه مع ملك فرنسا فيليب الجميل. واستمر الخلاف بين منظمة الداوية وملك قبرص هنري الثاني[٢].

هذا الخلاف دفع الداوية إلى المشاركة في نزاع الملك هنري مع أخيه الأصغر أمالريك Amalric على الحكم، حيث قاد أمالريك عام ٧٠٦هـــ / ١٣٠٦م، انقلابا ضد أخيه الملك هنري الثاني ونزع الحكم منه. وقد ساعد الداوية أمالريك ضد أخيه، بل واتهمهم البعض بتدبير المكيدة ضد الملك [٣].

ورغم كل محاولات المنظمات الدينية وخاصة الداوية في سعيها للعودة إلى دورها الذي تأسست من أجله وهو محاربة المسلمين تحت شعار حماية الحجاج المسيحيين ،إلا أن استرداد المسلمين لعكا أثار موجة من الشعور بالإحباط والألم لدى العالم المسيحي، الذي تضرر من ضياع الضريح المقدس[٤]، مما جعل كثير من مسيحيي أوربا سواء الباباوات أو الملوك أو عامة الناس يلقون تبعة تلك الكارثة على هاتين المنظمتين الدينيتين لانشغالهما بنزاعاتهما واهتمامهما بالأمور الدنيوية وبعدهما عن تحقيق الهدف الأساسي الذي وكل إليهما ،وهو الدفاع عن الأراضي المقدسة، لذلك فسقوط الكيان الصليبي في بلاد الشام يعني عدم الحاجة إلى بقاء هاتين المنظمتين ولابد من القضاء على نشاطهما[٥].

وصلت أنباء مفاجأة إلى الغرب الأوربي مفادها أن فرسان الاسبتارية استولوا على جزيرة رودس[٦] وجعلوها قاعدة عسكرية لهم لشن الهجمات على المسلمين، وأصبحت منظمة الاسبتارية في تلك الجزيرة حصن للعالم المسيحي وقاعدة له صمدت أمام الهجمات الإسلامية [٧]. ولهذا أصبحت هذه المنظمة موضع

---

(١) Hill, (S. G.), A History of Cyprus, P. 199; Crawford , Paul F. An Institution In Crisis : The Military Orders, 1291-1310, P. 52.

(٢) Hill, (S. G.), A History of Cyprus, P. 199.

(٣) عن ذلك أنظر: Hill, (S. G.), A History of Cyprus, PP. 216 – 227. كان أمالريك غير راض عن حكم أخيه هنري ويشاركه الرأي قبارصة آخرون خاصة وأن أخيه هنري مصاب بمرض الصرع، وفي عام ١٣٠٦م جابه هنري ومعه مؤيديه الملك هنري وطلبوا منه التخلي عن العرش وتعيين أمالريك حاكما على الجزيرة، وبعد مفاوضات، سمح للملك هنري أن يحتفظ بلقبه وحاشيته ودخله، بعد أن يتخلى عن العرش، وكان مقدم كل من الداوية والاسبتارية جزءا من هذه المفاوضات. أنظر أيضا: Crawford Paul F. An Institution In Crisis: The Military Orders, 1291-1310, PP. 126-130.

(٤) الضريح المقدس: هي كنيسة القيامة، وقد استغل البابا ورجال الدين النصارى اسم الضريح المقدس للدعاية للحرب الصليبية منذ أن دعي لها البابا أوربان الثاني لما له من تأثير على مشاعر الأوربيين. عن ذلك أنظر: لطيفه خلف العنزي، أساليب الدعاية في الغرب الأوربي للحملات الصليبية على بلاد الشام ومصر ٤٨٨-٦٧٣هـــ / ١٠٩٥-١٢٧٤م، رسالة دكتوراه غير منشورة ، الرياض ، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤٣٣هـ.

(٥) Delaville Le Roulx, (J.), Les Hospitaliers En Terre Sainte Et Achypre 1100 – 1310, P. 58; Fawtier, (R.), Histoire Du Moyen Age L'Europe Occidentale De 1270 A 1380, Vol. VI, Paris, 1940, P. 414.

(٦) جزيرة رودس: جزيرة كبيرة في بحر إيجة أمام سواحل اليونان، وعلى بعد ستة عشر كيلومتر من الساحل التركي، ومساحتها ١,٤٠٤٠٠٠ كم، استولى عليها الاسبتارية في ٧٠٩ه/ ١٣٠٩م . وفتحها الاتراك عام ٩٢٩ه /١٥٢٣م . Moore, (W.G.), A Dictionary of Geography, 1952 , P. 653.

(٧) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, PP. 187-188. Delaville Le Roulx , (J.), Les Hospitaliers En Terre Sainte Et Achypre 1100 – 1310, P. 58.

إعجاب وإكبار من قبل المسيحيين نخاصة وأن من أهدافها الرئيسية – والتي لم تكن موجودة في منظمة الداوية – القيام بالأعمال الخيرية كتوزيع الصدقات ومساعدة المحتاجين مما رفع من شأنها[١].

أما فرسان المعبد فقد كانوا سادة لقلاع ومقاطعات في أوربا؛ ولذلك لم يتأثروا كثيرا بطردهم من بلاد الشام لأن لهم مأوى وملجأ في أوربا، إلا أن على فرسان الداوية المطرودين من بلاد الشام لم يعتادوا على طريقة الحياة التي يحياها فرسان الداوية الغربيون، الذين لم تكن وظيفتهم هي القتال، وإنما الزراعة وكسب المال عن طريق أعمال الصيرفة...وغيرها. وكان للداوية عددًا من القلاع والأراضي في أوربا ولكن كانت إنجلترا وفرنسا وإسبانيا، أهم بلدان غربية للمنظمة، إذ أنها كانت مخازن غلالهم ودروعهم، إلا أن فرنسا كانت مركز القيادة للمنظمة في كل أنحاء أوربا، ولهذا فقد نقلوا نشاطهم إلى هناك خاصة في فرنسا التي مارسوا فيها أعمال التجارة، والصيرفة ،والمال وامتهنوا تجارة الفضة، حتى تحولت هذه المنظمة إلى بنك دولي كبير يلجأ إليه كل ملوك أوربا تقريبا للاقتراض وطلب المساعدة ونافست في ذلك كل من التجار اللمبارديين[٢] واليهود[٣].

ولم يكن الناس في الغرب في تلك الفترة يعرفون منظمة الداوية إلا من خلال صورتهم كتنظيم مصرفي. وأصبح أعضاؤها يملكون ثروات ضخمة ويعيشون في رفاهية ونعيم[٤]. كما أن قلاع الداوية في أوربا أصبحت أكثر البنوك أمنا في الغرب كله، وعمل الملوك و الأمراء والباباوات على إيداع أموالهم لديها، حتى

---

(١) Woodhouse, The Military Religious Orders of the Middle Ages, P. 259. في عام ١٢٩٤م منح البابا سيليستين للإسبتارية الإذن في جمع الأموال للأغراض الخيرية فقط، ألقى هذا الأذن الضوء على حقيقة أن الإسبتاريين اعتبروا أكثر من الداويين في الأعمال الخيرية، وأما دورهم العسكري هو دور ثانوي فقط، وربما شعر الداويون أن تلك ميزة تميز بها الإسبتاريون ويفتقرون إليها وعانوا بعدها. واعترف جاك دي مولاي في عام ١٣٠٥م بهذا رغم مرارته بقوله: " لأن المنظمة الأسبتارية أسست على عمل التكية _ منزل للفقراء والمسافرين_ وكانوا منهمكين خلف ذلك في أمر الحرب ويقومون بالعديد من الأعمال الخيرية. لكن الداوية تأسست حصرا على الأمور العسكرية " ثم أردف قائلا مدافعا عن جماعته " وفي جميع مقاطعاتهم كانوا يوزعون الصدقات للمحتاجين مرتين في الأسبوع ، وانفقوا باستمرار حصة العشر كلها للفقراء من خبزهم" عن ذلك ،انظر: Crawford, Paul F. An Institution In Crisis: The Military Orders, 1291-1310, P.41.

(٢) اللمبارديون: شعوب تنتمي إلى مجموعة الشعوب الجرمانية الشمالية، عاشوا في بداية حياتهم على الساحل الجنوبي لشبه جزيرة اسكندنياوة ثم نزحوا إلى أن وصلوا بالقرب من مصب نهر الألب. وكانوا يميلون في بداية حياتهم إلى العنف والوحشية، والميل إلى خوض الحروب، ولكن كانت أعدادهم قليلة مقارنة بالشعوب الجرمانية الأخرى. ثم واصلوا زحفهم إلى أن وصلوا إلى إيطاليا، وهناك دارت حروب بينهم وبين البابوية التي استعانت بشارلمان الذي قضى على الملكية اللمباردية، ولكن اللمبارديون استقروا في إيطاليا ومارسوا التجارة واعتبروا أنفسهم رجال أحرار فرفضوا نظام الضرائب المباشرة، مثل ضريبة الأرض. وبحكم موقعهم التجاري بين تجارة الشرق والغرب أصبح التجار اللمبارديون مضرب المثل في التجارة، وبعد تدرج طويل حصلت مدن لمبارديا على حقوقها في الحكم الذاتي من الإمبراطور فريدريك بربروسا سنة ١١٨٣م. وأصبح سكانها يمتهنون التجارة وانتشروا في كل أنحاء أوربا ويطلق عليهم التجار اللمبارديون وكانوا ينقلون السلع التجارية مثل التوابل والمنسوجات من الشرق إلى الغرب، وأحيانا إذا سافروا لغرض التجارة إلى البلاد الإسلامية نسبوا أنفسهم إلى أي مدينة تجارية إيطالية مثل جنوا والبندقية وبيزا حتى لا يدفعوا رسوم للجمارك حسب الاتفاقيات التجارية بين تلك المدن والمسلمين. عنهم أنظر: محمود محمد الحويري، اللمبارديون في التاريخ والحضارة ٥٦٨ – ٧٧٤م، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٦م.

(٣) التجار اليهود: اشتهر اليهود بالتجارة وسيطروا على التجارة الأوربية حتى أن لفظ يهودي Judeaus أصبح مرادفا للفظ تاجرMercator وكان اليهود تجارا بالمعنى الدقيق وعلى نطاق واسع ثم كانوا بعد ذلك صيارفة ورجال بنوك ومستشاريين ماليين. أنظر: محمد محمد مرسي الشيخ: النظم والحضارة الأوربية في العصور الوسطى، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص ٦٩. B. F., Molay (Jacques de), P. 308.

(٤) Fawtier, (R.), Histoire De Moyen Age, Vol. V, P. 415.

أن ملوك فرنسا منذ عهد فيليب أوغسطس (١١٨٠ – ١٢٢٣م) حتى عهد فيليب الرابع (١٢٨٥ – ١٣١٤م)[١] كانوا يوكلون الداوية للقيام بجميع أعمالهم المالية[٢]. وبذلك جلبت الداوية على نفسها حقد الحاسدين من نظرائها خاصة البنوك الإيطالية الكبرى وكذلك البابوية والامبراطورية على السواء لما حققته المنظمة من ثروة. والتي كانت سببا في تدهور أخلاقيات أعضائها وزيادة كبريائهم[٣]. مما جعل الرأي العام الأوربي ينقلب ضدها. كما كان لاستقرار المنظمة في فرنسا وسعيها للحصول على المال وتجميعه دون النظر إلى الاهتمام بالدفاع والمشاركة عن الأراضي المقدسة، على حين استمرت منظمة الاسبتارية بالشرق تؤدي دورها في خدمة المسيحية. وفي الوقت الذي زادت فيه ثرواتها كانت الملكية الفرنسية على شفا الإفلاس، الأمر الذي أثار حقد الملك الفرنسي فيليب الرابع على تلك المنظمة وسعى – كما سنرى – للقضاء عليها للاستيلاء على أموالها[٤].

ولتوضيح أكثر لابد من التطرق للملك الفرنسي فيليب الرابع لنعرف سياسته التي دفعته للطمع في أموال الداوية ومن ثم القضاء عليهم للحصول على تلك الأموال.

اتضحت سياسة ملوك فرنسا منذ وفاة الملك الفرنسي لويس التاسع[٥] ٦٦٨هـ /١٢٧٠م، في زيادة وحدة فرنسا وتقوية السلطة المركزية وتعزيز قوة الملكية على حساب الإمارات الإقطاعية، ومقاومة السياسة التوسعية العدائية لملوك إنجلترا في الأراضي الفرنسية[٦]، وكان ذلك أكثر وضوحا في عهد الملك فيليب الرابع أو الجميل ،والذي يعتبر عهده من أكثر العهود أهمية في السجلات والحوليات التاريخية الفرنسية في العصور الوسطى، إذ امتازت سياسته بالعنف والقوة ، فقد كان همه تحقيق غرضين هما القوة والمال. ولهذا اتجهت سياسته إلى إرساء الحكم الملكي المطلق، وتوسيع السلطة الملكية فيما يتعلق بالضرائب والقضاء، والبداية المتواضعة للبرلمان الفرنسي، ومد حدود فرنسا وتحقيق زعامتها على غرب

---

(١) الملك فليب الرابع هو ابن الملك فيليب الثالث ملك فرنسا من أسرة كابيه لقب بالوسيم أو الجميل لوسامته، تولى الملك وعنده سبعة عشر عاما، وكان صارما، ولم يكن محبوبا، وامتاز ببعد النظر وقوة العزيمة والمهارة السياسية، توفي وعمره خمسة وثلاثون عاما. عن فيليب أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى التاريخ السياسي، القاهرة ، الأنجلو، جـــ ١، ص ٢٧٨ – ٢٨٧.

(٢) Fawtier, (R.), Histoire De Moyen Age, Vol. V, P. 415.

(٣) Fawtier, (R.), Histoire De Moyen Age, Vol. V, P. 415.

(٤) Lacroix, (P.), Vie Militaire Et Religieuse Au Moyen Age Et Al'epoque De Le Renaissance, Paris, 1873, P. 198.

(٥) تولى لويس التاسع ملك فرنسا في يوم ٢٩ نوفمبر ١٢٢٦م بعد وفاة أبيه لويس الثامن، وكان عمره اثني عشر عاما. وكانت امه الملكة بلانش Blanche ابنة الفونس التاسع ملك قشتالة، وقد اشتهرت بتدينها وتفانيها بخدمة الكنيسة، فعنيت بتنشئة ابنها القاصر تنشئة دينية. وكانت فرنسا في فترة قصور لويس التاسع (١٢٢٦ – ١٢٣٦م) نهبا للفتن والثورات إذ وجد كبار الأمراء ورجال الإقطاع الفرصة مواتية لتحقيق مطامعهم في استرداد أقاليمهم التي سلبت منهم في عهد لويس الثامن، وقد ساعدهم على ذلك صغر سن لويس غير أن أمه الملكة بلانش تمكنت بالسياسة والدهاء من الإيقاع بين المتمردين، واستمالة بعضهم وأخمدت بعض الثورات إلى أن تولى لويس الحكم بعد بلوغه السن القانونية في عام ١٢٤٢م وقد واجه آخر ثورة إقطاعية كبيرة، انتهت بهزيمة الثائرين وعقدهم معاهدة مع الملك اعترفوا فيها بتبعيتهم له. انظر: جوزيف نسيم يوسف، العدوان الصليبي على مصر هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص ٣٣ – ٣٦. Bray, The Good St. Louis and His. Times, London, 1870.

(٦) فشر، تاريخ أوربا العصور الوسطى، ترجمة زيادة والعريني، والعدوي، القاهرة ، دار المعارف، جزأين، ط ٢، ١٩٦٦م، ص ٢٨٩.

أوربا، الأمر الذي جعل عهده يتميز باستمرار التورط الفرنسي في الصراع الدائر في أجزاء كثيرة من أوربا خاصة انجلترا، التي ألحقت الهزائم بالجيوش الفرنسية في كثير من المعارك. كما شهد عهده طرد بقايا الصليبيين من الشام ،على يد سلاطين المماليك في مصر عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م[١].

اضطر فيليب عام ٦٩٠هـ /١٢٩١م ،بحكم حاجته المستمرة إلى المال اللازم ،لإنجاز مشروعاته الداخلية ولمواصلة حروبه، إلى اتخاذ بعض الإجراءات التعسفية ،كتغيير العملة والتلاعب في قيمتها، وفرض الضرائب الباهظة على التجار، ومصادرة أملاك اليهود واللمبارديين الذين جمعوا ثروات طائلة عن طريق اشتغالهم بالأعمال المالية والمصرفية، وطردهم من البلاد[٢]. واستغل حدث سقوط عكا[٣] لجمع المال ،وبدا له أن المخطط الصليبي هو أكثر الذرائع قبولا لتبرير اغتصابه للمال من الكنيسة والنبلاء، فأعلن عن رغبته في تشكيل حملة صليبية ضد المسلمين. ورأى عدم الحاجة للمنظمتين الأسبتارية[٤] والداوية بعد طردهما من بلاد الشام ،فهما خطر كبير على مشروعه، لذا قرر الهجوم عليهما أولا، ولكن أهم إجراء اتخذه للحصول على المال ،هو نجاحه في حل منظمة فرسان الداوية ،وذلك بمصادرة أموالها لتغطية احتياجاته وفشل مع منظمة الإسبتارية[٥].

في عام ٦٨٩هـ /١٢٩٠م طلب الملك الفرنسي فيليب الرابع تقريرا عن أملاك الداوية، خاصة وأن أفرادها رفضوا دفع الضرائب المقررة عليهم. كما أن نبلاء وإمراء فرنسا قدموا الشكاوى للملك لامتناع أفصالهم عن تقديم الخدمة العسكرية بحجة أنهم من منظمة الداوية فيتبعون مباشرة للبابا – بناء على القرارات البابوية التي ذكرت سابقا ومنها قرار البابا بونيفاس الثامن في ٧٠٠هـ / ٨ يونيه عام ١٣٠٠م الموجه للملك الفرنسي فيليب الرابع تلزمه بعدم فرض ضرائب العشر على الداوية والاسبتارية في فرنسا. ثم بعده البابا بنديكت الحادي عشر Benedict XI حيث أصدر قرار في ٧٠٤هـ / ١٢ يونيه ١٣٠٤م أعفى

---

(١) Orton , (C. W. P.), Outlines of Medieval History, Cambridge, 1924, PP. 358 – 359. وعن سياسة الملك فيليب الرابع، انظر: Mcdonald, (J. R.), History of France, Vol. I,1914, Chapter VII – VII.

(٢) Milman, History of the Latin Christianity.P. 188.

(٣) في ٢٣ أغسطس عام ١٢٩١م كتب البابا نيقولا الرابع إلى الملك الفرنسي فيليب الرابع بعد استرداد المسلمين لعكا مباشرة سائلا إياه أن يرسل على وجه السرعة سفنا شراعية إلى الأرض المقدسة، إلا أن الملك فيليب الرابع لم يعر رسالة البابا أي اهتمام. ثم كتب له البابا في نفس العام رسالة أخرى وطلب منه أن يأخذ الصليب بنفسه أو أن يفرض ضريبة العشر لدعم الحملة الصليبية، إلا أن فيليب الرابع لم يهتم بالقضية الصليبية= إلا من ناحية استغلالها لجمع المال. انظر : Crawford , Paul F. An Institution In Crisis : The Military Orders, 1291-1310,P. 36.

(٤) هناك وثيقتان تم الحصول عليهما الأولى رسالة للملك فيليب الرابع يهاجم فيها منظمة الاسبتارية ويتهمها بسرقة الأموال وعدم توجيهها لخدمة الحملة الصليبية، مؤرخة في عام ١٣٠٩م، أما الوثيقة الثانية فكانت رسالة مقدم الاسبتارية فولك دي فيلاريت ردا على اتهامات الملك الفرنسي وكانت في نفس العام ١٣٠٩م. انظر: Crawford, Paul F. An Institution In Crisis: The Military Orders, 1291-1310,PP. 294 - 302.

(٥) Orton, Outlines of Medieval History, PP. 631- 632; Crawford , Paul F. An Institution In Crisis : The Military Orders, 1291-1310, PP. 79-80.

فيه الداويين من دفع المعونة الحكومية للملك الفرنسي فيليب الرابع المساوية لعائدات سنة كاملة من إقطاعيات فارغة تابعة للداوية، حتى أنهم أصبحوا بذلك قوة في أوربا تتمتع بحكم ذاتي مستقل(١).

ولابد ألا نغفل الدور الذي قام به أعضاء منظمة الداوية في تقديم خدماتهم لفرنسا على وجه الخصوص فقد كانوا هم العملاء الماليين لها ، وكانت الخزانة الملكية تحت حراستهم طوال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وحتى عشية القبض عليهم، وكانت منظمة الداوية منظمة مستقلة تسهم في دعم الملكية الفرنسية في جو من الثقة المتبادلة(٢).

ولم تذكر المصادر الأوربية أي نزاع مالي بين الملك الفرنسي والمصرفيين الداوية. بل إن الملك فيليب الرابع نفسه لجأ إلى قلعتهم في باريس والتي تضاهي في علوها وقوتها قصر اللوفر وذلك للاحتماء بها من خطر انتفاضة عام ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م التي قامت ضده من أجل إصلاح نظام الحكم، وعدم التلاعب في قيمة العملة، فكان هذا الحصن المنيع وهو الذي دفع رعاياه المتمردين ،واستطاع بفضل تدخل فرسان الداوية إجهاض التمرد حيث قاموا بشنق المتمردين على الأشجار حول المدينة(٣).

أدرك الملك فيليب عن قرب مقدار ثروة الداوية، خاصة أنه اقترض منهم صداق ابنته إيزابيلا Esabella عند زواجها من الأمير إدوارد أمير انجلترا Edward of England إلا أنه رغم ذلك قرر تقويض المنظمة والاستيلاء على أموالها ،ويقال إن مقدم الداوية جاك دي مولاي(٤) Jacques de Molay قد قام بطلب رد الدين من الملك فيليب الرابع وبإلحاح، وغضب من خازن أموال المنظمة لإقراضه المال للملك الفرنسي وقام بطرده وإهانته، وعندما علم الملك فيليب الرابع أرسل لجاك دي مولاي رسالة يطلب فيها رد الخازن إلى منصبه، إلا أن جاك تجاهل طلب الملك ،وألقى رسالته في النار، لهذا كرهه الملك فيليب الرابع وكانت أحد أسباب قراره القضاء على الداوية(٥). ويروي " داوي صور " تفاصيل هذه القصة مستشهدا بها على أنها أحد أسباب قرار الملك فيليب الرابع إلغاء منظمة الداوية ويصف دي مولاي بالغباء والبخل(٦).

في عام ٧٠٥هـ /١٣٠٥م قدم إلى الملك فيليب الجميل رجلان كانا من منظمة الداوية وانشقا عنها لسبب غير معروف وهما ساكان دي فلوريان Saquinde Florian ونوفو–داي فلورانتان Noffo-Dei Florentin وقدما له مجموعة من الاتهامات ضد أتباع منظمة الداوية وهذا ما أراده الملك الفرنسي الذي

---

(١) Orton, C. W. P., Outlines of Medieval History, P. 358; Crawford , Paul F. An Institution In Crisis : The Military Orders, 1291-1310, P. 79.

(٢) Orton, Outlines of Medieval History, P. 359; Mcdonald,(J. R.), History of France, Vol. I, Chapter VII – VIII. Fawtier, (R.), Histoire De Moyen Age, Vol. V, P. 415.

(٣) Fawtier, (R.), Histoire De Moyen Age, Vol.V, P. 415.

(٤) جاك دي مولاي: يعتبر جاك آخر رئيس ومقدم لمنظمة الداوية. عاش أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الميلاديين، ولد في مدينة مولاي Molay في فرنسا، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ ولادته إلا أنه ولد بين عام ١٢٤ – ١٢٤٤م، من أسرة نبيلة. التحق جاك في منظمة الداوية في الشام عام ١٢٦٥م. وكان فارسا شجاعا مما جعله مميزا في تلك المنظمة، كما شارك في الحروب التي خاضتها المنظمة في الشام ضد المسلمين. عنه أنظر: لطيفة خلف العنزي، مشاريع الدعاة الصليبيين ضد العالم الإسلامي في حوض البحر المتوسط، من نهاية القرن الثالث عشر حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلاديين (١٢٩١– ١٤٩٩)، ص ٣٣٢ – ٣٤٩.

(٥) عن ذلك انظر: Tout, (T.F.), The History of England 1219-1377, London, 1920, P. 200.؛ موريس كين، حضارة أوربا العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث، ١٩٩٤م.

(٦) الفارس الداوي، أعمال القبارصة، ص ٢٣٨ – ٢٤٠.

فرح بهذه الاتهامات[١]. فأعد خطة من قائمة الاتهامات للقضاء على منظمة الداوية شاركه فيها مجموعة من المستشارين من أبرزهم وليم نوجاريه William of Nogaret وهو من أكبر مستشاري الملك والذي أبرزت دوره معظم المصادر الأوربية[٢]، وكذلك المستشار الثاني رينالد دي روي Reginlad de Roye، وكاهن اعتراف الملك وليام إمبيرت William Imbert وهو الذي تولى إجراء التحقيقات مع فرسان منظمة الداوية. وقد لعب هؤلاء جميعا دورا كبيرا في تقديم العون الكامل للملك الفرنسي والذي اتفقت مصالحه السياسية والدينية والاقتصادية مع مصالحهم الشخصية[٣].

وقد صاغ الملك فيليب بالتعاون مع مستشاريه التهم الرسمية التي وجهها إلى أعضاء المنظمة، وأعد لذلك لائحة[٤] تحوي التهم الرسمية ،والتي منها أنهم أنكروا وجود السيد المسيح والسيدة العذراء، كما أنهم قاموا بإهانة الصليب وعبدوا الأصنام، ومارسوا شعائر سرية تقشعر منها الأبدان، كما اتهموهم بقضايا أخلاقية مثل اللواط[٥]، وتعاطي الخمور حتى أن كلمة " داوي " أصبحت تطلق على الشخص الذي يتعاطى الخمر بكثرة، كما أصبحت كلمة "Temple Home" صفة لكل بيت سيء السمعة[٦]. وأيضا تم اتهامهم بخيانة القضية الصليبية ، وذلك بالتآمر والتعامل مع المسلمين؛ لأنهم كانوا يشتغلون في الأعمال المالية ومنح القروض في الشرق قبل انتقالهم إلى الغرب، وهذا التعامل المالي الكبير جعل أفراد المنظمة يتصلون دائما بالمسلمين واتخذوهم أصدقاء، كما بدأت المنظمة في الحقيقة الاهتمام بالثقافة الإسلامية العربية وتعلمت مبادئ الفروسية الإسلامية مما أفقدها – حسب ظن الأوربيين – الكثير من مبادئها التي أنشئت من أجلها. وقد ركز فيليب وشركائه على هذه التهمة التي اعتبروها من أكبر التهم والتي تعتبر خيانة للقضية الصليبية، مما جعل المنظمة بداية معرضة للنقد[٧].

---

(١) Tout, The History of England 1219-1377, P. 201; Milman, (H. H.), History of the Latin Christianity, P. 191. Orton, Outlines of Medieval History, PP. 631-632; Laurent, (M.), Beautes de L' Histoire Des Croisades et Des Ordres Religieux et Militaires Quien Sont Nes, Limoges, 1859, P. 258.

(٢) وليم نوجاريه: الصديق المقرب والمخلص لملك فرنسا فيليب الرابع ومن كبار مستشاريه الدبلوماسيين. ولد في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي ولم يعرف بالضبط تاريخ ولادته ويرجح أنه عام ١٢٦٠م في مقاطعة تولوز بفرنسا من أسرة نبيلة كانوا أدواقا لـــ Epernon في جنوب فرنسا. كان حاقدا على البابوية بسبب قتلها عائلته لأنهم اتبعوا الحركة الألبيجنسية. عن وليم بالتفصيل انظر: لطيفة خلف العنزي، مشاريع الدعاة الصليبيين ضد العالم الإسلامي في حوض البحر المتوسط، ص ٢٩٣ – ٣٠٤؛ Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 191.

(٣) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, PP. 193-194; A. B.F., Jacyues De Molay, Vol. 4, P. 22.

(٤) عن هذه اللائحة أنظر: Barber, Malcolm, The Trial of the Templars, Cambridge, 1978, Appendix A, PP. 248 – 252.

(٥) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, PP. 194-195, P. 198, P. 272; Ollivier, (A.), Les Templiers, 1958, P. 125; Barber, Malcolm , The New Knighthood: AHistory of the Order of the Temple, Cambridge, 1994, P. 227.

(٦) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, PP. 196 – 197; A. B., Article Templiers, Col. 1584. Barber, Malcolm, The New Knighthood, P. 228.

(٧) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, PP. 194-195.؛ ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٣م، جـــ ٣، ص ٧٣١.

الأمر الثاني، اتهام الملك الفرنسي فيليب للداوية بخيانة القضية الصليبية بصفة مستمرة خاصة موقفها في حملة جده لويس التاسع (١٢٢٦ – ١٢٧٠م) الذي قاد الحملة الصليبية السابعة على مصر ٦٤٦هـ/١٢٤٩م [١]، والتي مفادها، أن فرسان الداوية اشتركوا مع الملك الفرنسي لويس التاسع في حملته على مصر، ورافقوا الكونت دي أرتوا D, Artoi أخو الملك لويس التاسع في هجومه الفاشل على المنصورة، حيث لاقى الجميع حتفهم[٢]. وعندما انتهت الحملة بهزيمة الصليبيين وأسر العديد منهم، وعلى رأسهم الملك لويس التاسع ، الذي تقرر دفع فدية لإطلاق سراحه شخصيا وسراح بعض من رجاله، طلب الصليبيون من الداوية الإسهام في المبلغ المطلوب فلم يستجيبوا، حتى أن الملك عندما تم إطلاق سراحه أراد الحصول على بقية المبلغ لفداء بقية جيشه فرفض الداوية إعطائه تلك الأموال بحجة أنها تخص المنظمات الدينية الثلاث الداوية، الاسبتارية، التيوتون[٣]، وأنه ليس من حق الداوية التصرف فيها وحدهم ،وقد بدأ هذا التصرف غريبا من جانب الداوية، خاصة وأن الصليبيين كانوا مهزومين مما اضطر الملك لويس التاسع للاستيلاء على الأموال بالقوة لفك أسرى الصليبيين[٤].

أما الموقف الثاني للداوية مع الملك لويس التاسع ،فكان أثناء تواجده في مدينة قيسرية[٥] عام ٦٤٩ – ٦٥٠هـ /١٢٥١ – ١٢٥٢م، حيث قام مقدم الداوية رينو دي فيشيه Renaud de Vichier بإرسال مارشال المنظمة هيو اوف جوي Hugh of Goy إلى دمشق، لأجراء مباحثات منفردة مع الملك الناصر يوسف الأيوبي صاحب دمشق[٦]، حيث عُرفت الداوية دائما بميلها الشديد لمحالفة حكام دمشق ضد سلاطين المماليك في مصر، مخالفة بذلك اتجاه الملك الفرنسي لويس التاسع إلى محالفة المماليك في مصر[٧].

وكان مقدم الداوية قد أوفد المارشال إلى الناصر يوسف الأيوبي وذلك للتفاوض حول منطقة كانت ملكا للداوية حاول الناصر يوسف تقسيمها، فتم الاتفاق على أن تكون هذه الأرض مناصفة بين الداويـــة وحكـــام

---

(١) عن الحملة الصليبية السابعة انظر: محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، القاهرة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٦١م.

(٢) محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، ص ١٤٥.

(٣) التيوتون: نشأت هيئة فرسان التيوتون عام ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م على يد بعض الحجاج الألمان، الذين وجدوا في المعسكر الصليبي أثناء حصار عكا في الحملة الصليبية الثالثة، بعد غرق الإمبراطور فريدريك بربروسا وتفرق جيشه. وكان هؤلاء الحجاج الألمان هدفهم تقديم العلاج للجرحى الألمان، الذين عجزوا عن التفاهم بلغة الصليبيين السائدة وهي الفرنسية، وأقام هؤلاء مستشفى داخل عكا. وفي عام ١١٤٣م منح البابا سلستن الثاني هيئة التيوتون استقلالا جزئيا. عن هذه الهيئة بالتفصيل أنظر: حسن عبد الوهاب، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة حوالي ١١٩٠ – ١٢٩١م / ٥٨٦ – ٦٩٠ه، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩م.

(٤) جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨م، ص ص ١٧٤ – ١٧٧؛ محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، ص ٢٣٠.

(٥) قيسرية: تكتب قيسرية أو قيسارية وهناك قيساريتان قيسارية فلسطين، وقيسارية كبادوكيا بآسيا الصغرى، والتي نعني هنا هي الأولى، تقع على الساحل الفلسطيني وتبعد عن يافا من الناحية الشمالية ثلاثين ميلا وعن بيت المقدس ستة وثلاثين ميلا، وقد استولى عليها الصليبيون عام ٤٩٥ه / ١١٠١ م . عنها أنظر: حسن عبد الوهاب، تاريخ قيسارية الشام في العصر الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٩٠م.

(٦) هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي، صاحب حلب ودمشق، وهو آخر ملوك بني أيوب حكم أربعة وعشرين عاما. وقد عارض حكم المماليك في مصر وقاد جيش من الأيوبيين وأنصارهم بالشام ضد المماليك ودارت بينهما معركة عام ٦٤٨هـ / ١٢٥١م انتهت بهزيمة الملك الناصر وفر عائدا إلى الشام، توفي عام ٦٥٩ه. أنظر: المقريزي، السلوك، جـ ١، ص ٥٣٩.

(٧) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، جـ ٣، ص ٤٧٥ – ٤٧٦.

دمشق، بشرط موافقة الملك الفرنسي على ذلك. وعندما أطلع مقدم الداوية الملك الفرنسي على هذه الاتفاقية ذُهل الملك لويس التاسع لعدم علمه مسبقا بها، ولأنه لم يأذن للداوية بعقد معاهدة مع حكام دمشق[١]. ذلك لأنه كان يسعى للاتفاق مع المماليك في مصر في مقابل قطع علاقته مع دمشق حتى يطلقوا سراح بقية أسرى الصليبيين في مصر وإعفائه من بقية المبلغ المتبقي عليه من الفدية. لذلك أعد ردا على هذا التصرف وأمر إعلانه أمام الجميع – لإحراج مقدم الداوية – وهو عدم تنفيذ ما سبق أن اتفق عليه الداوية مع الناصر يوسف، وأن يعلن المقدم أنه أخطأ في عقد معاهدة بدون إذن الملك، فأطاع المقدم وفرسانه أوامر الملك، الذي أمر أيضا بطرد الراهب هيو دي جوي من مملكة بيت المقدس، أما مقدم الداوية رينو دي فيشيه، فقد آثر الاستقالة من منصبه من جراء هذه الإهانة والتي سببت له وللمنظمة جميعها الخزي والعار[٢]. ولعل ما حدا بالملك لويس إلى اتخاذ هذا الموقف مع منظمة الداوية ،هو شعوره بأنهم قد خرجوا عن حدود صلاحياتهم ومحاولتهم الاستقلال بقراراتهم، وما رآه من الزهو الذي انتاب أعضائها.

هذه واحدة من الأسباب التي أوردتها المصادر للقضاء على منظمة الداوية٠ ويمكن أن نضيف إليها، أن ما دفع الملك فيليب الرابع نفسه إلى اتخاذ قرار حل المنظمة هذه هو أنها كانت على علاقة طيبة وقوية مع البابا بونيفاس الثامن Bonifas VIII وكانت تريد تكوين لجنة للدفاع عنه ضد الاتهامات التي وجهها إليه الملك الفرنسي[٣]. وبعد ارتقاء كليمنت الخامس Clement V (١٣٠٥ – ١٣١٤م)[٤] – أول بابا أفنيون[٥] – العرش البابوي عام ٧٠٥هـ /١٣٠٥م بفترة قصيرة في ٧٠٦ هـ / ٦ يونيه عام ١٣٠٦م

---

[١] جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ص ٢٢٦.

[٢] جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ص ٢٢٦ – ٢٢٧.

[٣] البابا بونيفاس الثامن (١٢٩٤-١٣٠٣م)، ولد عام ١٢٣٥م في Anagni في إيطاليا، من عائلة ارستقراطية. درس القانون في بولونيا عام ١٢٦٤م، وتدرج في المناصب الكنسية، إلى أن اعتلى كرسي البابوية سنة ١٢٩٤م بعد اعتزال البابا كلستين الخامس Clestine V. وكان على درجة واسعة من الثقافة في القانون الكنسي وله مؤلفات في ذلك. وكان متسلطا ومتدخلا في جميع الشؤون والقضايا السياسية مما سبب له الكثير من المشاكل. بسبب التغير في الفكر العالمي حول دور البابا في نهاية العصور الوسطى. وكان يرتدي دائما الشعارات والزينات الإمبراطورية ويتفاخر بأنه إمبراطور وبابا أيضا إذ اتصف بتعاليه وكبريائه. وقد تميز عهده بالصراع الكبير بينه وبين ملك فرنسا فيليب الرابع، وعائلة كولونا الإيطالية، وحاول الملك الفرنسي بمساعدة عائلة كولونا القبض على البابا بونيفاس الثامن وعزله، وقد أرسل جيشا لمحاصرة قصر البابا إلا أن بعض أهالي روما دافعوا عنه. ومات بونيفاس في ١٢ أكتوبر من ١٣٠٣ م وهو محطما جسدا وروحا. عنه بالتفصيل انظر: Kell, Oxford Dictionary of Popes, PP. 208 – 210.

[٤] البابا كليمنت الخامس: اسمه برتراند Bertrand ولد عام ١٢٦٠م في فرنسا من عائلة جاسكونية نبيلة ذات نفوذ، ودرس القانون الكنسي والقانون المدني في أورليانز، ثم التحق بالسلك الكنسي وتدرج فيه واشتهر بالذكاء إلا أنه كان مترددا وضعيفا ولهذا وقع تحت سيطرة الملك الفرنسي فيليب الرابع. تم انتخاب كليمنت لمنصب البابوية في ليون في فرنسا في ١٥ نوفمبر عام ١٣٠٥م بعد تدخل الملك الفرنسي في انتخاب البابوات بعد وفاة البابا بونيفاس الثامن الذي كان على خلاف كبير معه، ولهذا أصر الملك الفرنسي عدم مغادرة البابا كليمنت إلى روما وجعل إقامته في أفنيون وبهذا يعتبر البابا كليمنت الخامس أول بابوات أفنيون والتي تسمى في التاريخ فترة الأسر البابوي. عنه انظر: Kell, Oxford Dictionary of Popes , PP. 212 – 214.

[٥] هو ماتعرضت له البابوية في الفترة الواقعة بين سنتي ١٣٠٥ – ١٣٧٧م وأطلق على هذه الفترة " الأسر البابلي " حيث كانت البابوية مقيمة في مدينة أفنيون بفرنسا شبه خاضعة للملكية الفرنسية تاركة كرسي القديس بطرس في روما الذي استمدت منه سلطانها، وما دفعها إلى ذلك هو أن روما وقعت فريسة للمؤامرات والمنازعات حتى غدت البابوية في أواخر القرن الثالث عشر تحت رحمة كبار الأمراء. وأصبحت مدينة أفنيون ملكا للبابوية حيث اشتراها=

دعا لاجتماع رؤساء منظمتا الداوية والاسبتارية[١]، وذلك لمناقشتهما في القيام بحملة صليبية جديـــدة ضـــد الأراضي الإسلامية وتقديم العون والمساعدة لمملكة أرمينيا المسيحية[٢] ومناقشتهما كـــذلك فـــي موضـــوع توحيد المنظمات الدينية في منظمة واحدة[٣].

والواقع، أن قضية توحيد المنظمات الدينية قضية طرحها معظم الباباوات، والذين كانوا يسعون لتوحيدها لتتكاتف جهودها العسكرية والمالية في تثبيت المستوطنات في بلاد الشام وذلك قبل طرد الصليبيين منها، وحتى بعد طردهم عام ٦٩٠هـــ /١٢٩١م.

كانت فكرة دمج المنظمات الدينية قد عرضت مرارا في أكثر من موقع، فقد تمت مناقشتها في مجمع ليون الأول عام ١٢٤٥م، وكذلك مجمع ليون الثاني عام ١٢٧٤م. كما اهتم بها البابا جريجوري العاشر (١٢٧١ – ١٢٧٦م) ودعا إليها. ومن الملوك لويس التاسع ملك فرنسا (١٢٢٦ – ١٢٧٠م)، كما شاركهم الرأي فيما بعد البابا نيقولا الرابع (١٢٨٨ – ١٢٩٢م)، وذلك بعد استعادة المسلمين عكا وكان يرى أن ذلك سيؤدي إلى توحيد القوى التي يتمكنوا بها من الاستيلاء على الأماكن المقدسة في بلاد الشام مرة أخرى. وأعقبهم في هذا الرأي وتبنيه البابا بونيفاس الثامن (١٢٩٤ – ١٣٠٣م)[٤].

المهم، أن دعوة البابا كليمنت الخامس لمقدما الداوية والاسبتارية كانت لاستشارتهما في حملة صليبية جديدة لخبرتهما في أمور الشرق وقد قدم سيد والاسبتارية فولك دي فيلاريت Folk de Villaret مذكرة للبابا شرح فيها خططه لحملة صليبية جديدة[٥]. وكذلك قدم سيد الداوية جاك دي مولاي Jacques de

---

= البابا كلمنت السادس سنة ١٣٤٨م. عن بابوية أفنيون أنظر: Mollat, (G.), The Popes at Avignon, London, 1963; New – Cam . Mad. Hist., Cambridge, 2000, PP. 653-673.

(١) وصلت إلينا وثيقة دعوة البابا كليمنت الخامس لمقدم الاسبتارية فولك دي فيلاريت، إلا أن نص رسالته إلى مقدم الداوية جاك دي مولاي لم يتم العثور عليها في أرشيفات البابوية، إلا أنه من خلال نص رسالة البابا لمقدم الاسبتارية صرح بأنه أرسل نفس الرسالة إلى مقدم الداوية يقول: " استدعيناك واستدعينا ولدنا المحبوب سيد نزل الفرسان الداويين" أنظر:- Crawford, Paul F. An Institution In Crisis: The Military Orders, 1291-1310, PP.275-278.

(٢) كان قيام مملكة أرمينية الصغرى في جنوب غرب آسيا الصغرى بين جبال طوروس والبحر، وإمتدت حتى حدود إمارة أنطاكية، نتيجة لهجرة أعداد كبيرة من الأرمن المسيحيين عن مواطنهم الأصلية، إلى المناطق الواقعة غربي الفرات وشماليه، وذلك عشية فتح السلاجقة هضبة أرمينية، وازدادت هذه الهجرة عقب انتصارهم في ملاذكرد سنة ٤٦٣هـــ / ١٠٧١م. حيث لجأ كثير من الأرمن إلى جبال طوروس وإقليم قليقية وشمال الشام، واختار الأرمن هذه المناطق لوعورتها، وحصانتها الطبيعية. وظلت هذه المناطق التي نزح إليها الأرمن تعرف حتى أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي بإمارة أرمينية الصغرى، ثم تحولت إلى مملكة. واستمرت تشكل شوكة في خاصرة الدولة الإسلامية حتى نجح المماليك المسلمون في القضاء عليها سنة ٧٧٦هـــ / ١٣٧٥م. عنها أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، جـــ ١، ص ٩٦١ – ٩٦٧؛ علي محمد عودة الغامدي، بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـــ / ١٩٨٤م، ص ٣٢٣.

(٣) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 188. ؛ الفارس الداوي ، أعمال القبارصة ، ص ٢٣٧ – ٢٣٨.

(٤) Fawtier, (R.), Histoire De Moyen Age, Vol. VI, P. 416; Crawford , Paul F. An Institution In Crisis : The Military Orders, 1291-1310, PP.107-116.

(٥) عن فولك دي فيلاريه ومشروعه الصليبي أنظر: لطيفه خلف العنزي، مشاريع الدعاة الصليبيين ضد العالم الإسلامي في حوض البحر المتوسط من نهاية القرن الثالث عشر حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلاديين (١٢٩١ – ١٤٩٩م)، ص ٢٤٩ – ٢٨٦.

Molay مشروعا صليبيا للاستيلاء على الأماكن المقدسة ببلاد الشام[١]، وقد شككت المصادر الأوربية في أن البابا كليمنت الخامس كان قد أتفق مسبقا مع الملك الفرنسي فيليب الرابع على القيام بهجمات عدوانية ضد جماعة الداوية ورئيسها جاك دي مولاي، إلا أنها لم تثبت ذلك[٢].

لبى جاك دي مولاي الدعوة البابوية التي صاغها البابا بأرق عبارات التملق الديني، أما سيد والاسبتارية فولك دي فيلاريت فقد تذرع بانشغاله بحصار رودس[٣].

تصف المصادر الأوربية موكب سيد الداوية جاك دي مولاي عند قدومه لأوربا وكأنه موكب أمير دولة مستقلة، وليس لجماعة دينية عسكرية تتخذ من شعارات الفقر والعفة رمزا لها. فقد أحاط دي مولاي نفسه بستين فارسا من أبرز فرسان المنظمة، وخلال تقدمه إلى العاصمة باريس خرج الناس لمشاهدة القطار الطويل من الجياد المحملة بالثروات الكبيرة التي جلبها معه ، حيث قدرها البعض بحوالي مائة وخمسون ألف فلورين ذهبي[٤] وكميات كبيرة من الفضة، إن مثل هذه الثروة كانت خطيرة في الوقت الذي لم يكن فيه ملك فرنسا يعرف ماذا يصنع لملء خزائنه الفارغة ؟! وتحركت خلال الشوارع متجهة إلى قلعة منظمة فرسان المعبد ، وقد استقبله الملك الفرنسي فيليب الرابع بانحناءة احترام بالحفاوة والتكريم[٥].

والواقع، أن البذخ والغنى الفاحش الذي عاشته تلك المنظمة والذي وضح في موكب مقدم الداوية جاك دي مولاي أثار جشع الملك فيليب الرابع ودفعه إلى التفكير جديا في حل تلك المنظمة والاستيلاء على ثرواتها خاصة أن سياسة هذا الملك قامت على إخضاع كل المملكة لقوته الاستبدادية والارتقاء بالسلطة الملكية فوق كل الحكم الإقطاعي والكنسي، ولهذا فهل يتحمل الملك الفرنسي ترك هذه المنظمة ذات التنظيم العسكري المسلح ،والتي تمثل قوة أقوى من أي جيش يستطيع تكوينه وتمتلك ثروة هائلة ومعظم أعضائها من طبقة النبلاء ويشيدون لأنفسهم حصونا وقلاعا قوية في عاصمته ويحتلوا قواعد ومراكز أخرى في المملكة ويرتبطون مباشرة بالبابا وليس للملك فيليب الرابع الحق في مطالبتهم أو أخذ ضرائب منهم[٦]؟.

لم يكن جاك دي مولاي يجهل بالتهم والإشاعات التي تثار حولهم، ولكنه آثر هو ومنظمته أن يظلوا على قوتهم ويتمسكوا بأسلوبهم المتغطرس والمتكبر، وطالبوا البابا والشعب بالتحري الدقيق للمنظمة ونظمها فإن ثبت براءتهم وهو ما كان على يقين منه فسوف ينالون رضا وغفران العامة ولو تأكدت إدانتهم فلابد من مصادرة أملاكهم[٧].

وفي يوم ١٤ أكتوبر من عام ٧٠٧هـ /١٣٠٧م، أنقض الملك الفرنسي فيليب الرابع على الداوية، وأمر بإلقاء القبض على مقدمها جاك دي مولاي ومعه ١٤٠ فارسا، وزج بهم جميعا في السجن. وتلى ذلك

---

(١) عن جاك دي مولاي ومشروعه الصليبي أنظر: لطيفه خلف العنزي، مشاريع الدعاة الصليبيين ضد العالم الإسلامي في حوض البحر المتوسط من نهاية القرن الثالث عشر حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلاديين (١٢٩١ – ١٤٩٩م)، ص ٣٣٢ – ٣٦٦.

(٢) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 188.

(٣) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 188.

(٤) عملة ذهبية أصدرتها فلورنسا سنة ١٢٥٢م تعرف باسم Florino d'ore كان وزنها ٣.٥٣ جراما من الذهب الخالص تقريبا. أنظر: عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب، دمشق، ١٩٨١م، ص ٤٩.

(٥) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 188.

(٦) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 188-189.

(٧) Smith, (J.), The Oxford History of the Crusades, Oxford, 1999, P. 210.

إلقاء القبض على كل الأعضاء الأخرين ،في كل أنحاء فرنسا ومصادرة كل ممتلكات المنظمة[١]. وأجرى فيليب تحقيقا معهم وقد أوكل تلك المهمة إلى مستشاره الخاص وليم نوجاريه الذي انبرى بكل قوة لتنفيذ أوامر الملك وذلك لما يحمله في نفسه من حقد دفين على تلك المنظمة التي كان يتهمها بتعاونها مع البابا بونيفاس الثامن الذي يتهمه نوجاريه بقتل أبائه وأجداده من قبل[٢]. وحرمهم فيليب من وسائل الدفاع عن أنفسهم، ومنعهم من الاتصال بإخوانهم أو أقاربهم وأمر بتعذيبهم تعذيبا جعلهم يعترفون اعترافات قهرية من شدة الألم، وبالغ بصورة كبيرة في إهانتهم وتعذيبهم حتى أن البعض منهم مات في سجنه أثناء التعذيب[٣].

وكان من بين أشكال عمليات التعذيب في ذلك الوقت التي تم توظيفها لتعذيب فرسان منظمة الداوية، هي أن يتم خلع ملابس المجرم، وتوثق يداه وراء ظهره ويعلق الحبل الذي ربط يديه على بكرة معلقة بأعلى سقف السجن ويتم جذبه لأعلى بلوية عنيفة، ثم يتم إسقاطه بعنف نحو الأرض. وكان هذا النوع من التعذيب الأكثر استخداما وربما هو أخف شكل من أشكال التعذيب. وبعد ذلك كان يتم تقييد قدما المجرم في أداة تعذيب خشبية ذات ثقوب، وتدهن بزيت، وتمرر النار. وإذا أظهر ميلا للاعتراف كان يتم وضع لوح خشبي بين قدميه والنار، وإذا لم يحاول الاعتراف كان يتم سحب لوح الخشب مرة أخرى. كما يتم إلباس الأقدام أحذية حديدية ذات رقبة ويتم تضييقها بأوتاد أو بأي طريقة أخرى. وكان يتم إدخال شظايا خشبية من الأظافر إلى مفاصل الأصابع. ومن طرق التعذيب الأخرى انتزاع الأسنان، ووضع الأثقال على الجسم وخاصة المناطق الحساسة فيه. وغيرها من وسائل التعذيب [٤].

وبعد اعتقال الملك فيليب الرابع لفرسان المعبد ،أمر في ٧٠٧هـ / ٢٦ أكتوبر عام ١٣٠٧م بعقد اجتماع لأساتذة القانون في جامعة باريس[٥] ورجال الدين في كنيسة فرنسا ويشاركهم الحضور وليم نوجاريه المتولي قضية فرسان المعبد، وكاهن اعتراف الملك وليم امبرت دي باريس Imbert – de Paris William وآخرين من وزرائه. وذلك لإعطاء صيغة قانونية شرعية للتهم التي وجهها الملك فيليب إلى هذه

---

(١) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 193.

(٢) Fawtier, (R.), Histoire De Moyen Age, Vol. V, P. 416. A. B. F. Jacques De Molay, Vol. 4, P. 322.

(٣) A. B. F. Jacques de Molay, Vol. 4, P. 322; Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 188; Laurent, (M.), Beautes de L' Histoire Des Croisades, PP. 259-260.

(٤) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 188; A. B. F. Jacques De Molay , Vol. 4, P. 322;Martin, (H.), Histoire Defrance, Paris, 1861, Vol. VII, PP. 199-200.؛ وعن أصناف التعذيب التي لاقاها فرسان الداوية انظر: ستيفين هوارث، فرسان الهيكل القصة الأساسية، ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٣٣٤ – ٣٣٥.

(٥) جامعة باريس: كان لفظ جامعة Univerisitas يعني في أصله أية طائفة من الناس تربطهم رابطة واحدة، ويعملون كوحدة واحدة، وكانت تعني مجرد إتحاد أو تنظيم، وعندما بدأت الحياة العلمية تظهر في أوربا وكثر المتعطشين للمعرفة من طلاب وأساتذة، رأوا ضرورة تنظيم أنفسهم في نقابات وأطلقوا على أنفسهم جامعة. وجامعة باريس هي نتاج تكوين الأساتذة رابطة أو جامعة وهؤلاء الأساتذة هم ثمرة الامتزاج بين مدارس ثلاث مدرسة كاتدرائية نوتردام ومدرسة دير القديسة جنيفييف ومدرسة دير القديس فيكتور، كونوا رابطة فيما بينهم تحت مظلة أسقفية باريس وكان مدير الجامعة هو رئيس أساقفة باريس، وتضم أربع كليات هي اللاهوت والقانون الكنسي والطب والآداب، وقد اتخذت جامعة باريس طابعا دينيا منذ نشأتها عكس بعض الجامعات التي نشأت في وقتها كجامعة بولونيا في إيطاليا. عن ذلك انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، الجامعات الأوربية في العصور الوسطى، القاهرة ، الأنجلو ، ١٩٦٥م؛ جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

المنظمة[١]. وتم عرض تلك التهم، إلا أن بعض الأساتذة طلبوا التروي في إصدار الحكم ضدهم ، وذلك لعدم استطاعة أي قاضي إصدار حكم بالهرطقة[٢] ،على جماعة دينية لأن صاحب الحق في ذلك هو البابا نفسه والذي يخضع جميع أعضاء المنظمة لسلطته وطالب الأساتذة بتسليم القضية برمتها إلى الكنيسة لتتولى إصدار الحكم فيها[٣].

وقد حاول فيليب الإمعان في تشويه سمعة الداوية وأمر الواعظين في كل أنحاء فرنسا بإلقاء الخطب على العامة لشجب الجرائم التي اقترفها هؤلاء، وقد حضر الملك بنفسه استجواب سيد الداوية المقدم جاك دي مولاي الذي لاقى أصناف العذاب مما حمله على الإقرار والاعتراف بتلك الاتهامات أمام المحققين حيث اعترف بأن جماعته، " على الرغم من أنها كانت في وقت من الأوقات نبيلة ومقدسة .... إلا أن دهاء عدو البشر (الشيطان)، جعل أعضائها منذ وقت طويل ينكرون يسوع المسيح... ويبصقون على الصليب مع تمثال صغير ليسوع المسيح.... ازدراء له"[٤] وأضاف " برحمة الله، ظهرت هذه الأشياء في العلن، عن طريق أكثر ملوك المسيحية إيمانا الملك فيليب"[٥] ورجا سامعيه بأن يتوسطوا لدى الملك والبابا كي يتم العفو عنه هو ورجاله الأشرار النادمون من خطاياهم، ويتحملوا عدالة الكنيسة[٦]. وكتب جاك دي مولاي خطابا مفتوحا إلى أعضاء منظمته، وأصدر إليهم التعليمات بأن يعترفوا بجميع ممارساتهم الشريرة كما فعل هو[٧]، وهو أمر خطير بالنسبة للمنظمة، فقد كان له تأثير كبير على أعضاء المنظمة الذين تمسكوا بأقوالهم ورفضوا الاعتراف رغم ألام التعذيب، وبعد اعتراف رئيسهم اعترف بعضهم أما الآخرون فقد تمسكوا بموقفهم، ورفضوا الاعتراف بهذه التهم رغم مالا قوه من تعذيب شديد[٨].

وبعد اعتراف مقدم الداوية جاك دي مولاي، أرسل المحققون معه رسالة إلى الملك فيليب الرابع يخبرونه باعتراف جاك دي مولاي تقول الرسالة: "في يوم الثلاثاء، مثل أمامنا السيد الكبير، حيث أدى القسم واستمع إلى قراءة الجرائم المدان بها، واعترف بأنه أنكر وجود الرب، وعلاوة على ذلك فقد طلب منا بالحاح استجواب أحد الأخوة الخدم المرتبط به شخصيا..... وبعد أن أدى اليمين، أكد الاعترافات المتعلقة بنكران وجود الرب. مما سبق كله، وجهنا اتهاما شفهيا لكننا كتبناه وختمناه بختمنا الخاص...." (حررت

---

(١) Barber, Malcolm , The Trial of the Templars, P. 63.

(٢) الهرطقة: هي كلمة من أصل يوناني تعني اختيار مغاير لما في العقيدة، ولذا فهي تعني تغيير في عقيدة أو منظومة معتقدات ثابتة، وخاصة الدين، بإدخال معتقدات جديدة عليها أو إنكار أجزاء أساسية منها بما يجعلها بعد التغيير غير متوافقة مع المعتقد الأصلي. واستخدمها المسيحيين منذ مجمع نيقية عام ٣٢٥م. انظر: ج. ويتلر، الهرطقة المسيحية تاريخ البدع والفرق الدينية المسيحية، ت. جمال سالم، بيروت، دار التنوير، ٢٠٠٧م، ص ٥.

(٣) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 193; A. B. F., Jacques De Molay, Vol. 4, P. 295.

(٤) ستيفن هوراث، فرسان الهيكل، ص ٣٣١ – ٣٣٢.

(٥) ستيفن هوراث، فرسان الهيكل، ص ٣٣٢.

(٦) ستيفن هوراث، فرسان الهيكل، ص ٣٣٢.

(٧) ستيفن هوراث، فرسان الهيكل، ص ٣٣٢.

(٨) A. B. F., Jacques De Molay, Vol. 4, P. 326; Fawtier, (R.), Histoire De Moyen Age, Vol. VI, P. 417; Laurent, (M.), Beautes de L' Histoire Des Croisades, PP. 260-261.

بتاريخ ٢٠ أغسطس عام ١٣٠٨م)[١]. وقد فرح الملك فيليب الرابع بهذا الخبر ووثقه كإدانة ضد جاك دي مولاي لو سحب اعترافاته وهذا ما حدث بالفعل[٢].

عندما علم البابا كليمنت الخامس باعتقال فرسان الداوية ،اعترض بشدة على ذلك واعتبر هذا الإجراء تعدي من الملك الفرنسي على السلطة البابوية، وأصدر في ٢٧ أكتوبر من نفس العام ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م مرسوما أعلن فيه أن ذلك إجراء غير مسبوق وهو أن تتجرأ السلطة العلمانية وتحاكم رجال الدين، فإن حق محاكمة فرسان المعبد للبابا وحده وقال مخاطبا الملك الفرنسي: " إن هذه الأعمال مثار دهشة وألم وحزن لنا، لأنكم دائما ما وجدتم فينا إحسانا وصلاحا إذا ما قورنا بغيرنا من الأحبار الرومان الذين رأسوا الكنيسة الرومانية في زمانكم..." وتابع قائلا "ومع ذلك ارتكبت هذه الأفعال في حق أشخاص وممتلكات أناس يخضعون مباشرة لكنيسة روما.... وأسوأ ما في فعلك هذا، الذي لم يكن له أي داع ، يرى الجميع، إهانة لنا ولكنيسة روما"[٣]، وأمر بنقل المسجونين وممتلكاتهم إلى رعايته الشخصية، وأوقف السلطة القضائية التفتيشية الخاصة بالملك والأساقفة الفرنسيين وقام بعزل **William Imbert** من مكتب المحقق الأول، لأنه قد تجاوز حدود سلطاته "بوقاحة"[٤].

وأظهر الملك الفرنسي فيليب الرابع في البداية خضوعا ظاهريا لأوامر البابا، وفي نفس العام ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م، حضر مسرعا لمقابلة البابا في بواتييه **Poitiers** الفرنسية، وعقد اجتماعا معه، وهناك دارت مشاورات سرية، حثه فيها على اتخاذ القرار ضد منظمة المعبد[٥]. وبتوجيه من الملك الفرنسي قام أحد محامي الملك يلقي خطابا أدان فيه منظمة الداوية وعدد التهم الموجهة إليها ثم أنهى خطابه موجها تهديدا مباشرا للبابا يقول فيها: "... ولهذا، يا أبانا المقدس، حين يطلب ملك هذه المملكة، وكبار رجال الدين بها وباروناتها وجميع سكانها الانتهاء سريعا من هذا الموضوع، سوف يسرك القيام بذلك على وجه السرعة، وإلا سوف نضطر إلى التحدث بلغة أخرى إليك" [٦] وأرفق الملك فيليب الرابع بطلبه للبابا تهديدا بأن يعيد فتح قضية البابا بونيفاس الثامن، وأن يُخضع البابوية للإذلال المزري وذلك عن طريق محاكمة البابا بونيفاس الثامن بعد وفاته، وعند ذلك شعر البابا كليمنت الخامس بضعفه أمام سلطان الملك فيليب الرابع عديم الرحمة الذي كان يعد العدة للتعامل مع البابا كليمنت الخامس بنفس الطريقة التي تعامل بها مع البابا بونيفاس الثامن، وقد انبرى وليم نوجاريه، مستشار الملك فيليب الرابع، بإعداد التهم لتشويه سمعة البابا كليمنت الخامس على غرار التهم التي وجهت من قبل إلى البابا بونيفاس الثامن (١٢٩٤– ١٣٠٣م)[٧].

وتحت هذه الضغوط أصدر البابا كليمنت الخامس في ٧٠٨هـ / ١٢ أغسطس من عام ١٣٠٨م، ثلاثة مراسيم: ينص الأول منها على الوقوف في وجه منظمة الداوية، والاستعلام عنهم في كل أنحاء أوربا ويضم

---

(١) A. B. F., Jacques De Molay, Vol. 4, PP. 330-331.

(٢) A. B. F., Jacques De Molay, Vol. 4, P. 331.

(٣) ستيفن هوارث، فرسان الهيكل، ص ٣٣٧.

(٤) A. B. F. Jacques De Molay, Vol. 4 , PP. 295 – 296.

(٥) A. B. F. Jacques De Molay, Vol. 4, P. 323; Fawtier, (R.), Histoire De Moyen Age, VI, P. 416.

(٦) ستيفن هوارث، فرسان الهيكل، ص ٣٤٠ – ٣٤١.

(٧) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 201-202.

هذا المرسوم مائة وواحد وعشرين بندا تحتوي معظمها على كيفية استجواب رجال منظمة الداوية[١]. وينص المرسوم الثاني على أن ينفذ الحرمان الكنسي على أي شخص يخفي أحد من أعضاء الداوية أو أي شيء من ممتلكاتهم[٢]، وقد تم تعليق هذان المرسومان على أبواب جميع الكنائس والكاتدرائيات، والمدارس، ومباني المحكمة، ومنازل منظمة الداوية، والسجون التي اعتقل فيها فرسان الداوية. وتم أيضا إرسال مبعوثين لينشروا هذان المرسومان في كل الأقاليم والكنائس[٣]. أما المرسوم الثالث فقد نص على أن يتم عقد مجمع عام في مدينة فينا Vienne[٤] خلال شهر أكتوبر من عام ٧١١هـ / ١٣١١م، ليتم فيه حل أو إدانة فرسان منظمة الداوية بصورة نهائية[٥].

وبعد تلك المراسيم أصدر الملك فيليب الرابع تعليماته بالقبض على فرسان منظمة الداوية في جميع أنحاء أوربا وأرسل الرسل إلى ملوكها وأمرائها يحثهم على اتخاذ نفس الإجراءات التي اتخذها للقبض عليهم[٦]. وأعيدت كذلك التحقيقات مع فرسان المنظمة خاصة مع الذين أنكروا اعترافاتهم الأولى بعد ما علموا بتدخل البابا ولكن بعد إصدار تلك المراسيم البابوية خابت ظنونهم[٧]. وقامت اللجنة التي شكلها البابا والمكونة من ثمانية رجال دين برتبة كاردينال – ستة منهم على صلة مباشرة بالملك فيليب الرابع – باستدعاء كل من قام باعترافات من قبل لكي يمثل أمام المجلس البابوي لإعادة التحقيق ووضعت اعترافاتهم السابقة كدليل ضدهم واعتبرتهم هراطقة ومرتدين. وقد بدأت اللجنة محاكماتها في قصر الأسقف بباريس في ٧ أغسطس من عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، واستمرت طيلة العام[٨]. وفي يوم الأربعاء الموافق ٢٦ نوفمبر ،من نفس العام، تم إحضار مقدم الداوية جاك دي مولاي لإجراء التحقيق معه وكان يبدو كما تذكر المصادر منهكا من شدة الإعياء بسبب التعذيب، وتم استجوابه وقد أجابهم بقوله :إن البابا هو الذي أسس المنظمة ووهبها امتيازاتها وتعجب من أن البابا هو الذي يتقدم بهذه السرعة لإلغائها. وقد ذكرته اللجنة باعترافاته الأولى إلا أنه أنكرها؛ لأنه كان في ذلك الوقت تحت وطأة التعذيب[٩].

وفي ٢ فبراير عام ٧١٠هـ /١٣١٠م، تم اعتقال كل فرسان منظمة الداوية في جميع أرجاء أوربا و أجريت التحقيقات معهم وكان الإقليم الوحيد الذي وجد صعوبات في القبض على فرسان الداوية به أراجون حيث تحصن الداوية في قلاعهم وقاوموا، وفي بعض القلاع استمرت المقاومة أكثر من سنة[١٠]. أما في

---

(١) A. B. F. Jacques De Molay, Vol. 4, P. 332.

(٢) A. B. F. Jacques De Molay, Vol. 4, P. 332.

(٣) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 206.

(٤) مدينة تقع بين أفنيون وليون في فرنسا.

(٥) وعن نصوص هذه المراسيم البابوية بالتفصيل أنظر:
WWW.Ewtn.Com/Library/Councils/VIENNE.htm

(٦) Histoire De Moyen Age, Vol. VI, P. 418.

(٧) A. B. F. Jacques De Molay, Vol. 4, P. 328.

(٨) Milman, History of the Latin Christianity , Vol. VII, P. 221.

(٩) A. B. F. Jacques De Molay, Vol. 4, P.P. 329- 331. ؛ وعن التحقيق مع جاك دي مولاي أنظر: لطيفة خلف العنزي، مشاريع الدعاة الصليبيين ضد العالم الإسلامي في حوض البحر المتوسط، ص ٣٤٢ – ٣٤٩.

(١٠) جوناثان رايلي سميث، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة، المشروع القومي للترجمة، ٢٠٠٩م، جـ ٢، ص ٥٩.

قبرص فقد قاوم فرسان الداوية واشهروا أسلحتهم في وجه جنود الملك ليدافعوا عن انفسهم لكن لم يلبثوا أن استسلموا امتثالا للقانون على أمل تبرئتهم[١].

أما في انجلترا فقد تم القبض على فرسان الداوية في يناير من عام ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م بعد شهر كامل تقريبا من وصول مرسوم البابا، وتم سجنهم إلا أنهم لم يتعرضوا للتعذيب لسحب اعترافاتهم لأن القانون في انجلترا يرفض ذلك، فلم يعترف فرسان الداوية بأي من التهم التي وجهت إليهم وطال أمد التحقيقات دون نتيجة، وفي عام ٧١٠هـ / ١٣١٠م اقترح المحققون المبعوثون من قبل البابا إلى نقل فرسان الداوية من انجلترا عبر القنال إلى مدينة بونتيى، التي كانت أرضا انجليزية لكنها خاضعة للقانون الفرنسي وتم ذلك[٢]. وقد توفي عدد هائل من التعذيب، والمجاعة، والبؤس، في كل أنحاء أوربا، وتم حبسهم في سجون مظلمة كريهة الرائحة وغير صحية، وهم رجال اعتادوا على حياة الترف والحرية مما أدى حسب ما ذكره المؤرخون إلى كسر نفوسهم وكبريائهم وأذلهم بعد الفخر والخيلاء التي تمتعوا بها[٣].

واستمرت اللجنة في عقد جلسات تحقيقاتها بصورة يصعب تتبعها لطول أمد التحقيقات فقد استمرت التحقيقات معهم من يوم القبض عليهم عام ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م إلى أن أصدر البابا كليمنت الخامس مرسوما بحل المنظمة عام ٧١٢هـ / ١٣١٢م. وكان معظم التحقيقات تدور حول سؤالهم عن صدق نكرانهم للمسيح والصليب؟ وما حقيقة الصنم الذي عبدوه؟ وعن أفعالهم السلوكية الشاذة؟ وهل يؤمنون بالمذهب الكاثوليكي لكنيسة روما؟، وهل كانوا منظمين لطوائف أخرى غير منظمتهم؟ ،وهل كانوا متزوجين؟ ،وهل كانوا يأخذون الرشاوى من أي فارس من أجل انضمامه للمنظمة؟ وغيرها من الأسئلة التي يخترعها المحققون [٤].

وبعد أن أنهت اللجنة جلساتها بإعدادها ،أيضا ،قائمة كبيرة للاتهامات التي وجهتها ضد منظمة الداوية ورفعتها بدورها للبابا، الذي أمر بعقد المجمع في فيينا في ٧١١هـ / ١٦ أكتوبر عام ١٣١١م ،والذي كانت أغلبية أعضائه حوالي ثلاثمائة كانوا معارضين للقرار لأنهم أدركوا أن الجرائم المزعومة لم يتم إثباتها. ولكن الملك فيليب الرابع ألح كثيرا على الموافقة ،حيث حضر شخصيا إلى المجمع، وحصل أخيرا من البابا كليمنت الخامس على التصديق العملي على قراره[٥].

وفي الجلسة الثانية للمجلس وبحضور الملك فيليب وأبنائه الثلاث تمت قراءة البيان الرسمي البابوي "Vox in Excelsis"[٦] بتاريخ ٧١٢هـ / ٢٢ مارس عام١٣١٢م الذي أعلن فيه البابا حل منظمة الداوية وإعدام أعضائها حرقا، وسجن البعض مدى الحياة، كما جاء فيه ".... ولأجل الأرض المقدسة قامت

---

(١) Hill, (S. G.), A History of Cyprus, PP. 233 – 236. ؛ ورد إلى ملك قبرص أمالريك أمر من البابا كليمنت الخامس باعتقال فرسان الداوية وسجنهم ولم يسعد أمالريك بهذا ؛ لأنه يقوض أحد وسائل دعمه القوية ضد أخيه هنري الثاني وأنصاره ، ولكنه لم يملك خيارا آخر في طاعة البابا كليمنت الخامس. أنظر: Crawford , Paul F. An Institution In Crisis : The Military Orders, 1291-1310, PP. 130-131.

(٢) ستيفن هوارث، فرسان الهيكل، ص ٣٤٢ – ٣٤٤.

(٣) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 229.

(٤) عن جلسات التحقيق ،انظر بالتفصيل: Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. P. 220 – 265. ؛ ستيفن هوارث، فرسان الهيكل، ص ٣٤٥ – ٣٤٧.

(٥) A. B. F. Jacques De Molay, Vol. 4, P. 22; Laurent, (M.), Beautes De L'Histoire, P. 262.

(٦) عن المرسوم انظر: Joaquin [Jaime] Lorenzo Villanueva, Viage literario a las Iglesias de Espana, Vol. 5, Madrid, 1806.#6, PP. 207-221. And see also #7, PP.221-225; Decrees of the Ecumenical Councils, ed. N. P. Tanner, Vol. 1, London , 1990, PP. 336-343.

الكنيسة الرومانية بتقديم الدعم للمنظمة وقامت بتسليحهم بعلامة الصليب ضد أعداء المسيح، ومنحتهم التقدير والاحترام الفائق، وقوتهم بالعديد من المميزات والاستثناءات، ونالوا مساعدة الكنيسة ومساعدة جميع المسيحيين المخلصين الذين كانوا يمنحونهم هدايا كثيرة وممتلكات. لذلك فإن ما فعلوه ضد يسوع المسيح نفسه كان مشينا ، حيث أنهم سقطوا في خطيئة الارتداد عن العقيدة وارتكبوا ذنوب عبادة الأوثان، وارتكبوا جريمة اللواط والعديد من أشكال الزندقة ..... بناء على ذلك، وبقلب حزين، وبموجب قرار نهائي لا رجعة فيه، وبموجب مرسوم كنسي، فأننا نلغي منظمة فرسان الداوية وقانونها وتقاليدها واسمها ونمنع من الآن فصاعدا أي فرد من المنظمة أن يطلق على نفسه لقب فارس أو يتصرف على أساسه. ونحظر على أي شخص حظرا جازما أن يدخل الجماعة المذكورة في المستقبل أو يتلقى أو يرتدي زيها أو يتصرف كواحد من فرسان الهيكل. علاوة على ذلك فإننا نحفظ الأشخاص والممتلكات تحت تصرفنا وتصرف الكرسي الرسولي وإننا ننوي قبل نهاية المجلس المقدس الحالي أن نجعل ذلك التصرف من أجل الديانة المسيحية ورخاء الأرض المقدسة"(١).

وأعلن البابا بيانا رسميا آخر **Ad Providam** في ٢ مايو ،منح فيه منظمة والاسبتارية الحق في ممتلكات الداوية، جاء فيه، "..... كنا حريصين خشية أن تترك الممتلكات، التي جمعت على مدار فترة طويلة من عباد المسيح والمخلصين لمساعدة الأرض المقدسة على مقاومة أعداء العقيدة المسيحية، خشية أن تترك بدون إدارة وتفسد وتفنى لكونها لا تخص أحدا أو تستخدم لأغراض غير التي وضعت من أجلها، لذا توصلنا إلى قرار نحن جميع الحاضرين في المجلس، ينص على أن توضع الممتلكات للأبد لصالح هيئة فرسان القديس حنا (الاسبتارية) في اورشليم، للمنظمة نفسها وأبناءنا الأحباء والرئيس والأخوة بالمنظمة وتحت إدارة الأشخاص الذين يضحون بأنفسهم ويعرضونها للخطر دفاعا عن الرب"(٢). وبذلك استطاع البابا كليمنت الخامس بذكائه نقل أموال الداوية التي كان يطمع الملك فيليب الرابع فيها إلى خارج فرنسا ورغم ذلك استطاع الملك فيليب الرابع بطريقة ما أن ينتزع من البابا كليمنت الخامس الموافقة على أن تؤول ثروات الداوية في فرنسا إلى الملك فيليب الرابع(٣).

والواقع أن الفشل الجزئي الذي مني به الملك فيليب الرابع في مسألة الداوية هو أنه رغم وجود البابوية في أفنيون تحت السيادة الفرنسية فإن قوتها مازالت قائمة وهيبتها وحقوقها لا يمكن أن يهيمن عليها حكام فرنسا(٤).

أصدر البابا كليمنت الخامس مرسوما آخر في ٧١٣هـ / ٢٢ ديسمبر عام ١٣١٣م حدد فيه الحكم على مقدم الداوية جاك دي مولاي بالحرق هو وجميع كبار ممثلي المنظمة وفوض لتنفيذ الحكم بعضا من الأساقفة(٥).

---

(١) www.ewtn.com/library/councils/vienne.htm وانظر، ستيفن هوارث ، فرسان الهيكل ، ص ٣٦١ – ٣٦٢.

(٢) www.Ewtn.Com/library/Councils/vienne.htm

(٣) Paul Crawford, An Institution In Crisis the Military Orders, 1291-1310, Michigan,1998, PP. 166-167.

(٤) Fawtier, Histoire De Moyen Age, Vol. VI, PP. 421-422.

(٥) A. B. F. Jacques De Molay, Vol. 4, P. 344.

وفي ١٨ مارس من عام ٧١٤هـ /١٣١٤م في ساحة نوتردام Notredame حضرت اللجنة البابوية المكونة من الأساقفة وامروا بإحضار المسجونين من منظمة الداوية ومنهم جاك دي مولاي، وقام احد الأساقفة باعتلاء المنبر، وقراءة بعض النصوص المتعلقة بالاستجوابات التي حدثت عام ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م والتي تضمنت الاعترافات التي أدلى بها فرسان المنظمة(١). فاعترض جاك دي مولاي عليها بأعلى صوته وذكر أنهم أجبروه عليها. فانزعجت اللجنة من تصرفه هذا أمام هذا الحشد من الحاضرين. وقرر الأساقفة رفع الجلسة للمداولة على أن تعود للانعقاد في اليوم التالي، ولكن الملك الفرنسي فيليب الرابع، أسرع وأمر الجميع بالجلوس لتنفيذ الحكم فورا بتقديم جاك دي مولاي ورفاقه إلى المحرقة(٢). وتم تنفيذ الحكم وأحرق جاك دي مولاي، أخر مقدم لمنظمة الداوية ،وهو يصرخ بأعلى صوته وينادي ببراءة طائفته من كل الاتهامات التي وجهت اليها حتى لفظ أنفاسه الأخيرة(٣). كما أمر الملك الفرنسي بتجهيز أفران كبيرة وأشعل فيها النيران وأمر بإحضار فرسان منظمة الداوية من سجونهم وامر بحرقهم جميعا. وتم حرقهم ،بعد ذلك، في باقي أنحاء أوربا ومنهم من سجن مدى الحياة(٤). وبذلك تم القضاء نهائيا على منظمة الداوية.

يبرر الملك الفرنسي فيليب الرابع حل منظمة الداوية منذ بداية تفكيره في القضاء عليهم باتهامه لهم بأنهم السبب في طرد الصليبيين من بلاد الشام، ولذا فوجودهم يمثل في نظره خطرا على أي مشروع صليبي سيقوم بإعداده. لذلك فقد صادف قرار حل منظمة الداوية والتنكيل بأعضائها، وجهات نظر متباينة من قبل المعاصرين للملك فيليب الرابع، فالبعض رأى أنهم كانوا أبرياء، وما صدر ضدهم ظلم بين، والبعض الآخر، شارك فيليب في رأيه وأدانهم لخيانتهم للقضية الصليبية، كما أن من المؤرخين من أدان الملك فيليب بأنه كان يطمع في ثروتهم فقط.

انقسم المؤرخون حول ذلك ما بين مكذب لتلك الاتهامات ومصدق لها، فالمكذب يرى عدم وجود ما يؤكد صدق تلك الاتهامات كدليل يؤكد جرمهم، مثل الأصنام أو القوانين السرية. فلم توجد في السجلات والمكاتبات التي أدانتهم ما يؤكد صحة الشكوك والجرائم التي اتهموا بها، بالإضافة إلى مالا قوة من التعذيب، بكافة وسائله والذي دفعهم على حد رأي المكذبين لتلك الاتهامات ،أنهم أجبروا على قول مالم يفعلوه أصلا، ولهذا يصبح البرئ مذنبا بسبب التعذيب القهري(٥).

---

(١) عن ذلك انظر بالتفصيل: Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 202-206.

(٢) A. B. F. Jacques De Molay, Vol. 4, P. 346- 347; Laurent, (M.), Beautes De L'Histoire, PP. 262 – 264.

(٣) أنظر بالتفصيل: Thomassin, V., Jacques de molay, Dernler Grand Mattre de L ' order des Barber, Malcolm, the Trial of the Templars, PP.240-242.; Barber, Templlers, Paris, 1912. Malcolm," James of Molay, the Last Grand Master of the Order of the Temple," Studia Monastica 14 (1972), PP. 121 – 122.

(٤) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 206.

(٥) Smith, (J.), The Oxford History of the Crusades, P. 209.؛ أحد المكذبين لهذه الاتهامات راهب بندكتي اسمه Jacques de Therines كتب مذكرة عام ٧١٢هـ / ١٣١٢م وأبدى شكوكا جريئة نوعا ما تجاه إدعاءات الملك فيليب الرابع انظر: Noel Valois," Deux nouveaux temoignages sur le proces des Templiers", Academie des Inscriptionset Belles – Lettres: Comptes Rendus, Paris, 1910, PP. 229 – 241.

وفيما يتعلق بدوافع الملك الفرنسي فقد صعب على المؤرخين معرفة الدوافع الكامنة وراء اعتقال أعضاء المنظمة والتي يخفيها الملك الفرنسي فيليب الرابع. وكما ذكرنا مسبقا، أن التاج الفرنسي في تلك الفترة كان في حاجة للمال ولهذا اعتبر أغلبية المؤرخين أن الدافع وراء القضاء على المنظمة كان مادي في المقام الأول،[١] فعلى غرار نهب الملك فيليب الرابع لأموال اليهود في فرنسا ونجاحه في ذلك ربما آمل في الحصول على النتيجة ذاتها مع الداوية.

يذكر ميلمان **Millman** بعض أراء المؤرخين المعاصرين منهم ما يدعى **Villani** الذي يؤكد أن الملك الفرنسي فيليب الرابع اتهم منظمة الداوية بالهرطقة لكي يستولي على ثرواتهم وكذلك غيرته الشديدة من سيد الداوية جاك دي مولاي وذكر أن البابا كليمنت الخامس قد ترك المنظمة لملك فرنسا لكي يمنع بذلك إدانة البابا بونيفاس الثامن[٢]. أما المؤرخ الآخر الذي ذكره ميلمان ويدعى **Zantfliet** ، وهو قسيس ، حيث يصف ما اسماه الاستشهاد النبيل (بكرامة) لمنظمة الداوية ومقدمها جاك دي مولاي بعد أن رواه له شاهد عيان بقوله: "فلو أن موتهم لم يشبع شهوته لثروتهم، فأن سيرتهم النبيلة قد انتصرت على خيانة الملك الجشع"[٣]. وعارضهم آخرون بحجة أن الملك الفرنسي نفسه كان يعهد بأمواله الخاصة إليهم لإدارتها، وعندما كان يحتاج إلى أموال يجد حاجته عندهم، فكيف إذا يطمع في أموالهم وهي متاحة له، ورأى هذا الفريق ضعف هذه الحجة[٤].

وتبنى فريق آخر من المؤرخين رأيا مدافعا عن الملك الفرنسي بحجة أنه بقضائه على تلك المنظمة أثبت ورعه وتقواه ؛ لأنه كثيرا ما كان يحلم بقيادة حملة صليبية ضد المسلمين. ورأى هؤلاء المدافعين أن الملك الفرنسي سيتمكن من إعداد الحملة بسهولة إذا تم دمج المنظمات الدينية العسكرية (الاسبتارية – الداوية – التيوتون) في كيان واحد يستطيع بعدها تكوين قوة تقف أمام المسلمين ولكن منظمة الداوية اعترضت من قبل على هذه الفكرة ،ولذلك قرر الملك الفرنسي معاقبتها لأنها على حد قول المدافعين عن الملك فيليب الرابع تقف حجر عثر في طريق تنفيذه لمشروعه الصليبي ضد المسلمين[٥].

وقد أعقب هؤلاء اتهامهم للمنظمة بالهرطقة وذلك بشهادة الشهود الذين كانوا من أعضائها الذين نسوا مالا قوه من التعذيب الشديد الذي صاحب عمليات الاستجواب ومع ذلك صدقوا على هذه الاتهامات واعتبروا أن فيليب قام بذلك، لما يتمتع به من تقوى وورع ورغبة في الدفاع عن المسيحية ،وفي تعقب المذنبين فقد أكدوا أن جريمة فرسان الداوية إهانة للعقيدة المسيحية، ولابد من إصدار حكم رادع ضدهم، فقد رأى هذا

---

(١) ضمنهم المؤرخ Barber, Malcolm في كتابه The Trial of the Templars الذي أصدره عام ١٩٧٨م ، والذي اعتبر أن دوافع الملك فيليب الرابع المالية هي مفتاح الامر في محاكمة الداوية ، ويتهمه بالجشع في أموالهم ، إلا أنه تراجع عن هذا الموقف وأقر بأنه الآن يعتقد بأن أقوى دوافع الملك فيليب الرابع كان حماسه المتدين إلا إن فيليب بحماسه هذا أخطأ في قضائه على الداوية و دون Barber, Malcolm هذا في كتابه The New Knighthood: Ahistory of the Order of the Temple والذي أصدره عام ١٩٩٤م.

(٢) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 274.

(٣) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 275.

(٤) Smith, (J.), The Oxford History of the Crusades, P. 210.

(٥) Fawtier, Histoire De Moyen Age, Vol. VI, P. 423.

الفريق من المؤرخين أن قضية فرسان الداوية في نظر فيليب "قضية عقيدة" ،ودللوا على ذلك بوقوفه في وجه الكنيسة ومحاولته منعها من العفو عن الذين دنسوا العقيدة المسيحية[١].

هناك من المؤرخين ،من ألقى باللائمة في القضاء على منظمة الداوية على البابا كليمنت الخامس نفسه الذي ألغى منظمة كانت تدين لها المسيحية بالعرفان. وكان يجب على البابوية أن تدافع عن منظمة دينية عسكرية تدين بالتبعية للكرسي البابوي نفسه. إلا أن البابا كليمنت الخامس كان مقيدا بأطماع وجشع الملك فيليب الرابع، ويقع تحت سيطرته وسلطانه في أفنيون. ولم يكن لدى البابا كليمنت الخامس سوى هدف واحد وهو منع الملك الفرنسي من إدانة البابا بونيفاس الثامن في مجمع ديني كبير لأن إدانته تعني إذلال للمركز البابوي، فلذلك كان البابا كليمنت الخامس مستعدا للتضحية من أجل البابا بونيفاس الثامن حتى وإن كان ذلك على حساب العدالة البابوية[٢].

ويذكر المقربون من البابا كليمنت الخامس أنه كان يقول بعد أن أصدر مرسومه بإلغاء منظمة الداوية: "لو أننا لم نستطع تدمير المنظمة عن طريق العدالة، لكنا دمرناها بطريقة أخرى مناسبة بحيث لا نغضب ابننا العزيز ملك فرنسا"[٣].

ومن المؤرخين من علل قضاء الملك فيليب الرابع على الداوية بسبب خوفه منهم ففي باريس وحدها يمكن حصر خمسة عشر ألف فارسا من الداوية أكثر أعضائها من طبقة النبلاء الفرنسيين وكانت منازلهم وقلاعهم من أقوى وأسلم المباني التي عرفها ذلك الزمان، وكانت جيوشهم هي الوحيدة المقاتلة التي تتميز بالانضباط والتنظيم في الغرب كله، والمعروف هو أن سياسة الملك فيليب الرابع تسعى لتعزيز قوة الملكية على حساب الإمارات الإقطاعية التي يحوزها النبلاء، وباتحادهم هذا يشكلون جيش دائم في حالة تأهب مستمر، يضعون أيديهم على سيوفهم باستمرار، ولا يحنون رؤوسهم إلا أمام الكرسي البابوي، لذا فهم يصبحون محل خوف وشك الملك الفرنسي عندما يريدون الدفاع عن قضية احد الاتباع الثائرين أو احد الجيران الطامحين[٤]. وبتقويض الملك فيليب الرابع لمنظمة الداوية في بلاده فرنسا هو تقويض لها في كل أنحاء أوربا ومنها إنجلترا التي كانت تعتمد على أموال المنظمة في حربها ضده وبالتالي ستفقد إنجلترا مصدر مالي كبير[٥].

ولكن هناك فريق من المؤرخين ساءهم النهاية المأساوية لتلك المنظمة فطالبوا بالنظر في تاريخ هؤلاء الفرسان مجردا من الاتهامات التي وجهت إليهم، وما أسدوه للمسيحية من أعمال كبيرة، وأن تاريخهم كافيا للدفاع عنهم، إذ كيف يمكن لمؤسسة عسكرية شهدت وهي في أراضي المسلمين إراقة دماء العديد من فرسانها ،سواء في حطين أو في صفد ،على يد المسلمين، كيف يمكن لها التحالف معهم؟، وكيف يمكن لهذه المؤسسة العسكرية أن تضع يدها في يد المسلمين، بعد أن طردوهم من مقرهم في الشام –على حد تعبير المؤرخين–؟، وكيف للمنظمة أن تتخلى عن الأرض المقدسة التي هي رمز نجاحها ومجدها العسكري؟[٦].

---

(١) Fawtier, Histoire De Moyen Age, Vol. VI, PP. 423 – 424.

(٢) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, PP. 270-271.

(٣) Milman, History of the Latin Christianity, Vol. VII, P. 276.

(٤) A. B. F. Jacques De Molay, Vol. 4, P. 293.

(٥) ستيفن هوارث، فرسان الهيكل، ص ٣١٨.

(٦) Michaud, (M.), Histoire Des Croisades, Vol. IV, P. 116.

يقول أحد المؤرخين لم تذكر الوثيقة اسمه: "لا أعتقد أبدا أن رئيسا كبيرا وعدد من الفرسان يضمون إمراء، وهم جميعا من الطبقة الموقرة، قد تمت إدانتهم بأفظع الجرائم وأحطها. كما أنني لا أعتقد إطلاقا أن طائفة دينية كاملة تتخلى عن الديانة المسيحية في أوربا، تلك العقيدة التي قامت هذه الطائفة من أجلها بشن حرب في آسيا وأفريقيا، ومن أجلها أيضا تم إحراق العديد منهم في نيران العرب والأتراك، لأنهم فضلوا الموت والحرق عن جحود دينهم. وأخيرا إني أعتقد دون أدنى شك أن أكثر من ثمانين فارسا قد أشهدوا الرب على براءتهم وهم يحتضرون" كما رأى هؤلاء المؤرخون أن الدليل الكافي على كذب الافتراءات وعدم صحتها هو أن الفترة التاريخية التي تحركوا فيها لتوجيه هذه التهم إلى الداوية في فترة بدت فيه المسيحية وكأنها نست الضريح المقدس ولم تعد كلمة المسيح كافية لإثارة شجاعة المحاربين المسيحيين(١).

واستطرد هؤلاء في دفاعهم بأنه حتى إذا كان التنظيم قد أصابه بعض الفساد ولم يعد كما كان في أيام الزهد الأولى ولم يعد رمزا للبساطة والدين وأن فرسانه الذين مجدهم القديس برنارد من قبل ورفع من شأنهم أصابهم بعض الفساد الذي لحق أيضا بجميع مسيحيي الشرق، كما أن أوربا أسهمت في زيادة الفساد ولا شك أيضا أن هؤلاء الفرسان بسلوكهم المشين قد أحبطوا الروح المعنوية لإساءتهم لدين المسيح بفسقهم ومجونهم، ولكن مع كل هذه الصفات ليس من حق البشر أن يحكموا عليهم، أو أن يكون لهم صلاحية مطاردتهم بهذا العنف وإلصاق أبشع التهم بهم. وأن هذه النهاية المأساوية للتنظيم تم فيها انتهاك كافة أشكال العدالة وأن فرسان الداوية كانوا ضحية وأن قضاتهم كانوا جلادين(٢).

وختاما للبحث نقول : إن منظمة فرسان الداوية لم تع أن سقوطها على يد المسلمين في بلاد الشام وطردهم منها دليل على نهايتها وسقوطها في الغرب، فمنظمة الداوية في بلاد الشام لم تكن لتعيش كل هذه المدة دون فرسان الداوية في الغرب الذين كانوا يمدونهم بالسلاح والرجال والمال والجياد والطعام . ومنظمة الداوية في الغرب لم يكن من الممكن أن يوجدوا – بأي حال – دون إخوانهم في بلاد الشام، فإذا كانت المنظمة في بلاد الشام هي رأس الحربة فإن المنظمة في الغرب كانت مقبض الحربة. لذا هزيمة فرسان الداوية على يد المسلمين وطردهم نهائيا من بلاد الشام كانت أولى أسباب القضاء على منظمة فرسان الداوية في أوربا.

كانت تلك نهاية منظمة الداوية التي كانت من أشد العناصر الصليبية عداء للمسلمين، وشاركت مع منظمة الاسبتارية في صنع تاريخ المعارك الحربية التي وقعت بين الصليبيين والمسلمين.

قائمة المختصرات:

A.B.F.	**Archive of Biographique Francaises**
P.P.T.S.	**Palestine Pilgrims Text Society**
Cam. Med. His.	**Cambridge Medieval History**
R.O.L.	**Revue de L'Orient Latin**

(١) Michaud, (M.), Histoire Des Croisades, Vol. IV, P. 502.

(٢) Michaud, (M.), Histoire Des Croisades, Vol. IV, PP. 502-503.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر العربية والمعربة: -

١. ابن الأثير، الشيخ عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (٥٥٥ – ٦٣٠ه): الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

٢. ابن واصل، جمال الدين محمد ت ٦٩١ه: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الثلاثة الأجزاء الأولى تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٣م.

٣. أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي ت ٦٦٥ه: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، جزاءان في مجلد واحد، القاهرة، ١٢٨٨ه.

٤. أبي المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت ٨٧٤ه: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٢٩١م.

٥. جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨م.

٦. العيني، بدر الدين محمود ت ٨٥٥ه: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

٧. الفارس الداوي الصوري، جيرارد أوف مونتريل: أعمال القبارصة، ترجمة سهيل زكار، دمشق، دار التكوين، ٢٠٠٨م.

٨. المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر ت ٨٤٥ه: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

٩. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣ه: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق الباز العريني، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

١٠. وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، ٤ أجزاء، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

١. إبراهيم خميس، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (جماعة الفرسان الداوية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.

٢. ج. ويتلر، الهرطقة المسيحية تاريخ البدع والفرق الدينية المسيحية، ت. جمال سالم، بيروت، دار التنوير، ٢٠٠٧م.

٣. جوزيف نسيم يوسف،

- العدوان الصليبي على مصر هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م.
- نشأة الجامعات في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

٤. جوناثان رايلي سميث،

- الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠-١٣١٠م، ت. صبحي الجابي، دمشق، ١٩٨٤م.

- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة، المشروع القومي للترجمة، جزءان، ٢٠٠٩م.

٥. حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، ط ١، القاهرة، ١٩٤٧م.

٦. حسن عبد الوهاب، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة حوالي ١١٩٠ – ١٢٩١م / ٥٨٦ – ٦٩٠هـ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩م.

٧. ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، القاهرة، ٣ أجزاء، ط٣، ١٩٩٣م.

٨. ستيفين هوارث، فرسان الهيكل القصة الأساسية، ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٣م.

٩. سعيد عبد الفتاح عاشور:
- الحركة الصليبية، جزءان، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٩٦م.
- أوربا العصور الوسطى، جزءان، القاهرة، الأنجلو، ١٩٨١م.
- مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك، بيروت، دار النهضة العربية، د.ت.
- قبرس والحروب الصليبية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م.
- الجامعات الأوربية في العصور الوسطى، الأنجلو، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٠. عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب، دمشق، ١٩٨١م.

١١. عبد الله سعيد الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ.

١٢. عفاف سيد صبرة، العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة من ١١٠٠ – ١٤٠٠م، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٣م.

١٣. علي محمد عودة الغامدي، بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١٤. فشر، تاريخ أوربا العصور الوسطى، ترجمة زيادة والعريني، والعدوي، القاهرة، دار المعارف، جزءان، ط ٢، ١٩٦٦م .

١٥. كولتون ج. ج.: عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة جوزيف نسيم يوسف، ط ٢، الإسكندرية، ١٩٦٧م.

١٦. لطيفة خلف العنزي:
- مشاريع الدعاة الصليبيين ضد العالم الإسلامي في حوض البحر المتوسط، من نهاية القرن الثالث عشر حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلاديين (١٢٩١– ١٤٩٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القصيم كلية الآداب، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- أساليب الدعاية في الغرب الأوربي للحملات الصليبية على بلاد الشام ومصر ٤٨٨–٦٧٣هـ / ١٠٩٥– ١٢٧٤م، رسالة دكتوراه غير منشورة، الرياض ، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤٣٣هـ.

١٧. محمد محمد مرسي الشيخ: النظم والحضارة الأوربية في العصور الوسطى، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

١٨. محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، القاهرة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٦١م.

١٩. محمود محمد الحويري، اللمبارديون في التاريخ والحضارة ٥٦٨ – ٧٧٤م، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م.
٢٠. مصطفى محمد الحناوي، الفرسان الإسبتارية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي، الرياض، مكتبة الرشد، ٢٠٠٦م.
٢١. موريس كين، حضارة أوربا العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث، ١٩٩٤م.
٢٢. نبيلة مقامي، فرق الفرسان الرهبان، القاهرة، ١٩٧٥م.

ثالثا: المصادر الأجنبية: .

1. A. B.F., Jacyues De Molay, Vol. 4.
2. Alexander III (Pope), Letter From Pope Alexander III to the Master of the Templars Bertrand of Blanquefort, dated 7 June 1152, Cf. Addison,The Knights Templars,London, 1842, P. P. 68-69.
3. Amadi, Chroniques d' Amadi et de Strambaldi, 2 Vols, Paris, 1891.
4. Decrees of the Ecumenical Councils, ed. N. P. Tanner, Vol. 1, London, 1990.
5. Innocent III (Pope), Letter of Pope Innocenti III, In, Dans, Patrologia Latina, Vol. XI, P. 522, XXV, P. 306.
6. Jacaues de Vitry, The History of Jerusalem, Tran from the Original Latin by Steward, London, 1896.
7. Jacaues de Vitry,The History of Jerusalem, Cf. P. P. T. S., Vol. XIV, London, Jean de.
8. Joaquin [Jaime] Lorenzo Villanueva, Viage literario a las Iglesias de Espana, Vol. 5, Madrid, 1806.
9. Michel le Syrin, Chronique de Michel le Syrin Patriache Jacobite D' Antioche (1166 – 1199), Editee pour la Qremiere fois et Tradiut en francais Par J. B. Chabot, 3 Vols., Paris, 1905.
10. Noel Valois, "Deux nouveaux temoignages sur le proces des Templiers", Academie des Inscriptionset Belles – Lettres: Comptes Rendus, Paris, 1910.
11. Roger of Wendover, The Flowers of History, London, 1888.

رابعا :المراجع الأجنبية :

1. Addison, C. H. G., the Knights Templars, London, 1842.
2. Barber, Malcolm,
   - The Trial of the Templars, Cambridge, 1978.
   - The New Knighthood: AHistory of the Order of the Temple, Cambridge, 1994.
   - James of Molay, the Last Grand Master of the Order of the Temple, Studia Monastica 14 (1972), PP. 121 – 122.
3. Bray, The Good St.Louis and His. Times, London, 1870.
4. Block, M., Feudal Society, Translated from the French by L.A. Mnyon, London, 1982.
5. Chaen, C., Le Syrie de Nord A L'Epoque des Croisades et Principoute Franque d' Antioche, Paris, 1940.

6. Crawford, Paul F. An Institution in Crisis: The Military Orders, 1291-1310, U S A, 1998.
7. Cruzon, H. D., La Regle du Temple, Paris, 1904.
8. Delaville Le Roulx, J. Les Hospitaliers En Terre Sainte Et Achypre 1100 – 1310, Paris, 1904.
9. Edward, J. M., The Trail of The Templars, London, 1928.
10. Fawtier, R., Histoire Du Moyen Age L'Europe Occidentale De 1270 A. 1380, 6 Vol., Paris, 1940.
11. Grousset, R., Histoire des Croissades Et du Roysume Franc de Jerusalem, 3 Vols, Paris, 1936.
12. Hill, S. G., A History of Cyprus, 3 Vol., Cambridge, 1948.
13. Jorga, N. Notes et Extraits Pour Servir Al' Histoire Des Croisades Au Xve Siecle, 3 Vols. Paris, 1889 – 1902.
14. Kelly, J. N. D. Oxford Dictionary of Popes, Oxford, 1996.
15. Lacroix, P., Vie Militaire Et Religieuse Au Moyen Age Et Alepoque De Le Renaissance, Paris, 1873.
16. Laurent, M., Beautes de L' Histoire Des Croisades et Des Ordres Religieux et Militaires Quien Sont Nes, Limoges, 1859.
17. Martin, H. Histoire De france,7 Vols., Paris, 1861.
18. Mcdonald, J. R., History of France, 2Vol., 1914.
19. Michaud, J. F., Histoire des Croisades, 5 Vols, Paris, 1922.
20. Milman, H. H., History of the Latin Christianity,8 Vols , London, 1872.
21. Mollat, (G.), The Popes at Avignon, London, 1963.
22. Moore, W.G., A Dictionary of Geography, 1952.
23. Ollivier, A. Les Templiers, 1958.
24. Oman, C.W. A., History of the Art of War in the Middle Ages, London, 1924,
25. Orton, C. W. P., Outlines of Medieval History, Cambridge, 1924.
26. Paul Crawford, An Institution In Crisis: the Military Orders, 1291-1310, Michigan, 1998.
27. Prower, J., The Latin Kingdom of Jerusalem,London , 1973.
28. Smith, J., The Oxford History of the Crusades, Oxford, 1999.
29. The Oxford Dictionary of Byzantium,3 Vol. , Oxford, 1991.
30. Thomassin, V., Jacques de Molay, Dernler Grand Mattre de L ' order des Templlers, Paris, 1912.
31. Tout, T.F., The History of England 1219-1377, London, 1920.
32. Woodhouse, The Military Religious Orders of the Middle Ages, London, 1879.
33. WWW.Ewtn.Com/Library/Councils/VIENNE.htm.

خامساً الدوريات العربية :

١. بكري الأسود ، " جزيرة أرواد ، صخورها البحرية ومراسيها " ترجمة ، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية ، عدد ١٤ ، (١٩٦٤م) .